

مجلة البيان - العدد ٣١ ، المحرم ١٤١١ هـ / أغسطس ١٩٩٠ م

الافتتاحية

ورثة أبي لهب

جاء في سنن الترمذى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان في أوائل الدعوة المكية يعرض نفسه على العرب في موسم الحج يدعوهم إلى الإسلام وإلى حمايته حتى يبلغ دعوته ويقول لهم: «ألا رجل يحملني إلى قومه ، فإن قریشاً منعوني أن أبلغ كلام ربِّي» .

وأخرج الإمام أحمد في المسند عن ربيعة بن عباد قال : رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - في الجاهلية في سوق ذي المجاز يقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تقلحوا، والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه يقول: إنه صابئ كذاب، يتبعه حيث ذهب، سألت عنه قالوا : هذا عمه أبو لهب .

لقد جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للعرب بالعز والسعادة في الدنيا والآخرة ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور ((وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ)) وكان - صلى الله عليه وسلم - حريصاً مشفقاً على قريش وعلى الناس أجمعين ولكن عمه أبو لهب كان يخذل الناس عنه ويعندهم من نصرته ، فكان العرب عندما يسمعون كلام أبي لهب يقولون "أهله وقومه أعلم به" .

ونحن في هذه الأيام نقول للعرب والعمجم : طبقوا شرع الله تقلحوا وتصبحوا أمة معدودة بين الأمم، إن الإسلام هو قدرنا وهو خيارنا الوحيد وهو هويتنا الذي يحفظ لنا شخصيتنا، وما ظنك بدين اختاره الله لنا . والعرب بلا إسلام أصبحوا أضحوكة العالم يخافون من (شامير) و (شارون) .

ونقول أيضاً للعرب والعمجم: لقد جربتم كل الأفكار والمذاهب ففشلتم وتذبذعتم ، وأصدقاؤكم القدامى ، الاتحاد السوفياتي ومن كان يسير في فلكه أداروا لكم ظهورهم ، وأمريكا تمارس (البلطجة) فأين المذهب ؟

إن صنيع أبي لهب يذكرنا بموقف الصحافة العربية من أحداث الجزائر ونجاح الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، فقد بدأت هذه الصحافة بالتحذير من (الطرف) و (الأصولية) ، وأن هؤلاء المسلمين سيخربون المدينة (أين المدينة؟) .

لم يستطع أصحاب هذه الصحف أن يكونوا موضوعين ويعترفوا أن الشعوب العربية تريد الإسلام ، بل تمنى أصحاب هذه الصحف أن لو عاد العسكر حتى لا يأتي المسلمون ، وهم الذين ينادون بـ (الديمقراطية) صباح مساء .

قالت (الوطن العربي) في عددها الصادر في ٢٢/٦/٩٠ : "إن الجبهة الإسلامية تعتمد على الخلط بين السياسة والدين، وقد استغلت الأوضاع الاقتصادية لصالحها"، ثم حاولت المجلة إثارة الجيش باعتباره "الضامن الوحيد للاستقرار" وفي نفس العدد وفي صفحتها الأخيرة اتهمت التيارات الإسلامية بأنها تُشجع من جهات أجنبية ، وهذه اتهامات سخيفة لم تعد تروج على أحد، وهي عودة إلى المهاجرات والردد الذي راج في الخمسينات والستينات .

أما صحيفة (الوطن) الكويتية الصادرة بتاريخ ٢٢/٦/٩٠ ، فبعد أن ذكرت فوز الجبهة الإسلامية بـ ٨٢٪ من الأصوات ذكرت أن المتفقين الجزائريين يعيشون حالة قلق لما يمكن أن تخبيء لهما الجبهة الإسلامية . وتقصد الصحيفة بـ (المتفقين) المسرحيين والرسامين والروائيين، وكأن الصحيفة

تريد أن تصور الجبهة الإسلامية بأنها وحش مخيف ، وأظن أن هؤلاء المثقفين قد تملّكهم الخوف لأنهم يعلمون من أنفسهم أنهم يمثلون (الطابور الخامس) الثقافي ضد الإسلام ، وإذا كانوا غير ذلك فلماذا يخافون .

ومجلة (اليوم السابع) تسأل نجيب محفوظ عن (ظاهرة التطرف الديني وأخطارها المحدقة بالشعوب العربية والإسلامية) وطبعاً المجلة تقصد كل المسلمين ولا تقصد فئة متشددّة بعينها تختلف ما جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - لقد صورت المجلة (التدين) بأنه الخطر المحدق بالشعوب العربية ، أما ما تمارسه المجلة من التبعة للشرق ولليسار فليس خطراً محدداً ، وليس هو الذي جاء به زائف ١٩٦٧ وما بعدها.

لقد قامت كثير من الصحف بما قامت به أخواتها وما قصرت في الصد عن ذكر الله والهجوم على ما يسمونه (الأصولية) المتتممية في الجزائر . وإذا كان الغرب وصحف الغرب قد أبانوا عن حقد دفين ، وخاصة إذا كان هذا الإسلام قريباً منهم على الطرف الآخر من حوض البحر المتوسط ؛ فإن هذا التخوف ينسجم مع محاولتهم لاستمرار الهيمنة على الشعوب الإسلامية ولكن ما بال الصحف العربية والمجلات العربية ، هل تريد استمرار التردي الذي شاهدناه طوال العقود الثلاثة الماضية ، ولماذا لا يعترفون بأن كل الشعارات التي رفعت سابقاً لم تؤد إلى النتيجة المرجوة ، وأن الحل الوحيد للعرب هو الإسلام .

في إشراقة آية
((أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ))

- ٢ -

د. عبد الكريم بكار
ب- رفض التعميم :

لقد تعقدت الحياة وكثرت التفاصيل فيها إلى درجة جعلت تعميم الأحكام في أكثر الأحيان أمراً بعيداً عن الحقيقة؛ وصار التعميم في لغتنا في إحدى أهم التغرّات التي ينفذ منها لهدم ما نقوله وتمييع القضايا التي نعرضها .

على أن التعميم مرفوض في المنهج الإسلامي بصورة عامة ، ومن ثم كثرت الآيات في الكتاب العزيز التي ترد فيها كلمة (أكثر) ، وكلمة (كثير) بمعنى أكثر ، كما أن في السنة ما ينسجم مع هذا من مثل قوله - صلى الله عليه وسلم - : "إن أعظم الناس فرية لرجل هاجى رجلاً فهجا القبيلة بأسرها" (١) .

والمحدثون الذين يتسم عملهم بالدقة والإتقان كانت لهم تفريقات رائعة في أبواب نقد الرجال والحكم على الأحاديث من مثل قول مالك - رحمه الله - : «إن من شيوخي من أتبرك بدعائه، ولكن لا أقبل روایته»، ومن مثل قولهم : فلان صدوق إلا أنه غير ضابط .. فالتعبير بـ (الاتجاه العام ، أو الانطباع العام ، أو الأقرب أو الأكثر) هو الأدنى من الحق والأكثر انسجاماً مع لغة العصر .

ج - النفور من الوعظ المباشر :

عكر النسيج الثقافي القائمالي اليوم الرؤية عند كثير من الناس ، كما أفسد الكثير من الفطر السليمة، كما أدى نمو الخصائص الفردية في صورة مرضية في بعض الأحيان ، كما أدى إلى تضخيم الخصوصيات لتسحب على كثير من شؤون الحياة العامة التي هي أقرب إلى العموميات ، وقد أدى ذلك كلته إلى تكوين مزاج لا يرتاح للوعظ المباشر، وصار ينظر إليه في بعض الأحيان على أنه خروج عن اللباقة والأدب الاجتماعية المرعية، أضف إلى هذا أن انخفاض نوعية الدعاة - كما هو شأن أكثر الأمة- في جانب الالترام يجعل قبول الناس للموعظة أمراً غير سهل . ومن ثم فلابد من الاعتماد على الإيحاء والتلميح وضرب الأمثل وغيرها أسلوباً للخطاب وزكارة الداعية تفتح له في كل يوم آفاقاً جديدة في هذا.

د - الاختصار :

الناس اليوم في عجلة من أمرهم ؛ حيث إن المستوى المادي الذي يطمحون إليه جعل الوقت يضيق عن الشروح الطويلة وتكرار البديهيات واستخدام المترادات ، مما يقتضي الإيجاز - غير المخل - في إيصال الأفكار والمعلومات إليهم ، وصار الإطناب من فضول القول.

ه - الضيق بالمبالغات :

مرت على أمتنا بعض الفترات التاريخية التي سادت فيها المحسنات البديعية، وصار إطلاق الألقاب الفخمة يجري دون أي اعتبار أو تحاكم إلى الواقع ، ويقف المرء على هذا في مقدمات بعض الكتب ، وما يطرز به أسماء مؤلفيها من الصفات التي تبتعد عن الحقيقة قليلاً أو كثيراً؛ لأنها لا تستند إلى قاعدة من المعلومات الصحيحة كما في قولهم:

البحر العلم المجدد جمال الدين فريد عصره ووحيد دهره الذي لم تقع العين على مثله... وتطلق هذه الأوصاف على عشرات من العلماء الذين يعيشون في عصر واحد أو في بلد واحد في بعض الأحيان. وكانت هذه الإطلاقات مجافية لما عرف عن سلف هذه الأمة، بل لما عرف عن منهجه - صلى الله عليه وسلم - حيث أثني على كثير من أصحابه ، ووصفهم بصفات محددة، فواحد أعلمهم بالقراءة، وأخر بالقضاء، وثالث بالصدق ، وهكذا..

ولم تقتصر المبالغة على إطلاق الألقاب ، بل تجاوزت ذلك إلى أن أصبحت جزءاً من الاعتبارات الذهنية والعلمية عند كثير من الناس ، وقد عاد الأمر إلى نصابه في لغة العصر، وصارت المبالغة مملولة بموجة.

و - التجديد :

كان من خلقبني إسرائيل أنهم لا يصبرون على طعام واحد، وقد انسحب هذا الخلقاليوم على كثير من جوانب الحياة في المسكن وترتيب أثاثه ، والملابس وأشكال تفصيلها، والمركبات وأنواعها، وشأنهم في القضايا المعنوية نحوأ من ذلك ، فهم توافقون إلى الجديد من المعاني والأفكار والأساليب ، وصاروا يشعرون بجمود من لا يواكبهم في ذلك وتصوره، وليس في التجديد ما يذم إذا تم مع المحافظة على الأصول والثوابت ، بل قد لا تتم المحافظة على الأصول إلا من خلال التجديد في الوسائل والأساليب ، حيث تعرض بأشكال تنسجم مع روح العصر.

ز- المعالجة العملية :

تقد العلوم على الصعد العملية شكل حس الناس ومنطقهم العام ، في الميل إلى الواقعية والارتياح في الصيغ العملية ، ونظام الخطوات المتتابعة ، التي تسلم كل واحدة منها إلى الأخرى في الوصول إلى هدف أو حل مشكلة، وصارت الحاجة ملحة إلى (كيف)، ولم يعد طرح المبادئ كافياً وحده ، فما عاد

كافياً الترديد نحو: لابد من رفع المستوى الخلقي لدى الفرد، أو لابد لنشر الدعوة بين الناس ، بل أنت مطالب بأكثر من هذا، مطالب ببيان الإمكانيات المتاحة ، ثم بيان المنهج والخطط والأدوات التي يمكن استخدامها في الاستفادة من تلك الإمكانيات؛ وذلك لأن تعدد الأشياء وتشابكها يحتاج إلى نوع مكافئ من تعدد الفاعلية على مستوى الخطط والأساليب والأدوات.

ح - عدم قبول تفسير الظواهر الإنسانية بعامل واحد :

الإنسان ذو أبعاد فسيحة وأغوار عميقة، وكل الظواهر التي تتصل به على درجة عالية من التعقيد في الأفكار والمبادئ والموافق والعادات ، وفي الاجتماع والاقتصاد... كل أولئك يتشكل ويتطور نتيجة نسيج معقد من العوامل.

وإذا كان هذا هو الواقع فإن تفسير أية ظاهرة إنسانية وتحليلها بعلة مفردة غير صحيح ولا دقيق؟ فلا يمكن أن يقال مثلاً إن الشعب الأفغاني صمد في وجه المحتلين بسبب إيمانه أو بسبب صعوبة تضاريس أرضه من جبال وكهوف ، أو بسبب رصيد الفطرة لديه ، أو بسبب العون الخارجي.. إنه لم ينفرد سبب واحد من هذه الأسباب بولادة ظاهرة الصمود، بل إنها جمياً مع أسباب أخرى أسهمت في إيجاد وضع متميز يستمد تميزه من خصوصية شروطه وأسبابه. وهكذا...

كيف نمتلك لغة العصر؟

في العالم اليوم ما يسمى بثورة المعلومات مما يفرض على المثقف المسلم أن يرسم لنفسه خطة تطبيقية خاصة تناسب رغباته واحتياجه العلمي ، والمهمة التي ندب نفسه لها. والمشكلة الكبرى في عزوف كثير من الناس عن القراءة فأمة (اقرأ) ما عادت تقرأ مما خلق نوعاً من الخلخلة الثقافية في ساحتنا الفكرية ، وجعل كثيراً من أهل الخير عاجزين عن فهم لغة العصر، وإذا عزم المرء على القراءة فلابد له من القراءة الواسعة في شتى أنواع المطبوعات ، وعليه أن يقرأ لكل المدارس حتى لا يقع فريسة للانغلاق الفكري أو ضحية للأفكار الفقيرة التي تظهر في أساليب شتى.

ولابد لمن يريد أن يسير في طريق الانفتاح الثقافي من ثقافة شرعية أساسية يتمكن بها من تحديد الثوابت التي أكبر فضائلها دوامها واستقرارها ، حتى لا ينجرف مع نتاج المدارس والتيارات التي يقرأ لها.

كما لابد له من محاولة امتلاك منهج في التفكير يستند إلى وعي صحيح بأحداث الماضي، ووعي جيد لظروف الحاضر ، حتى يتمكن من امتلاك رؤية واضحة لكيفية عمل سنن الله في الأنفس والآفاق.

إن الذي يملك شذرات من المعلومات كمن يملك قطعاً من الذهب ، أما الذي يملك منهجاً ذا نماذج خاصة ، فإنه يمتلك مفتاح منجم من الذهب ، فإذا حصل على هذا وذاك فإن الانفتاح في الاطلاع يكون خيراً كله ، وحينئذ يتجاوز الداعية مرحلة السيطرة على اللغة ليصبح من موجديها ومؤهليها ، ولكن لابد قبل الانهمام في القراءة من اختيار ما نقرأ، فلنقرأ للعبقرة، ولأولئك الذين يقدرون مسؤولية الكلمة، والذين لا يدفعون بكتابهم إلى المطبعة إلا بعد الاعتقاد بأنه يشكل إضافة جديدة للفكر الإنساني.

٣ - دوام نفعها :

إن الشجرة الطيبة التي ضربها الله تعالى مثلًا للكلمة الطيبة دائمة الثمار، وديمومة عطائها نابعة من تناسق الصفتين السابقتين : ثبات الجذور، وبسوق فروعها في جو السماء، والكلمة التي لا جذور لها لا تستطيع أن تصنع شيئاً. والأفكار التي تبئها قصيرة العمر كزهور الربيع؛ والكلمة التي لا تسجم مع لغة العصر لا تستطيع ملامسة أعماق الإنسان الذي تقرع سمعه ، والذي وصفناه بأنه بالغ

التعقيد. وقد ملكتنا هذه الآيات الكريمة المقىاس الذي نتعرف به على الكلمة الطيبة، وهذا المقىاس هو : ((تؤتي أكلها كُلَّ حِينٍ)) ، فنحن إذا أردنا من هذا المنظور أن نقيس أداء خطب الجمعة في عالمنا الإسلامي وأثارها في ترقية فهم الناس للإسلام والتزامهم به وجدنا أن أطناناً من الورق تكتب أسبوعياً دون أن تؤتي الثمار التي تتناسب مع حجم ذلك الجهد المبذول ، ونعني به خطأ الأسلوب. إن مهمة المسلم أن يعيش عصره ويكون مؤثراً لا متأثراً، وأن يكون له دور في صياغة لغة العصر

الهوامش:

- 1- أخرجه ابن ماجه والبيهقي . قال الهيثمي : رجاله ثقات وإسناده صحيح .

الخصائص المميزة لعقيدة أهل السنة والجماعة

- ١ -

هشام إسماعيل

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على نبيه محمد، وعلى آله وصحبة أجمعين، أما بعد: حديث الافتراق من الأحاديث المشهورة، أخرجه كثير من أصحاب الحديث في كتبهم ، وهو كما قال عنه الحاكم: «هذا حديث كثر في الأصول» (١). ومن أجمع الفاظه ، ما رواه عوف بن مالك الأشعري قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، واحدة في الجنة وسبعين في النار، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، إحدى وسبعين في النار، واحدة في الجنة، والذي نفسي بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة، واثنتان وسبعين في النار. قيل : يا رسول الله من هم؟ قال : الجماعة» (٢).

وأولى من يؤخذ منه تفسير كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هم صاحبته الكرام رضي الله عنهم أجمعين.-

وتفسير الجماعة المرادة في هذا الحديث فسره العالم الرباني والصحابي الجليل عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه.

فعن عمرو بن ميمون قال : قدم علينا معاذ بن جبل على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوقع حبه في قلبي ، فلزمته حتى واريته في التراب بالشام. ثم لزمت أفقه الناس بعده عبد الله بن مسعود، فذكر يوماً عنده تأخير الصلاة عن وقتها فقال : صلوها في بيوتكم ، واجعلوا صلاتكم معهم سبحة. قال عمرو بن ميمون : فقيل لعبد الله بن مسعود: وكيف لنا بالجماعة؟ فقال لي : يا عمرو بن ميمون إن جمهور الجماعة هي التي تفارق الجماعة، إنما الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك (٣).

وعن الحسن البصري قال : السنة، والذي لا إله إلا هو، بين الغالي والجافي ، فاصبروا عليها رحmk الله ؛ فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي؛ الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعتهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم ، وكذلك إن شاء الله تكونوا.

وعلى ضوء ما سبق ذكره ، فإن تعريف أهل السنة والجماعة يمكن أن يقال بأنهم : من وافق سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - قوله و عملاً على منهاج الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين-. ومن خلال النظر في منهج أهل السنة، وفي حال أهل البدع نجد أن لأهل السنة خصائص ومميزات تميزهم عن غيرهم ، وهذه الخصائص والمميزات نتيجة للمنهج العقدي الذي يتميزون به عن غيرهم .
ولذلك فإننا نذكر هنا أهم مميزات وخصائص عقيدة أهل السنة والجماعة:

١ - فالميزة الأولى هي : أنها ربانية المصدر :

و هذه أعظم ميزة لعقيدة أهل السنة، فهي تعتمد على الكتاب الذي أنزله الله تعالى على رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وأمره أن ينذر الناس به ، كما في قوله تعالى : ((قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيٍ)) [الأنبياء:٥] ، وقال عن السنة أنها هي المبينة للكتاب ، فقال سبحانه وتعالى : ((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ لِتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)) [النحل:٤] ، ولذلك كل من ترك النظر والاستدلال بالكتاب والسنة فهو ضال ، ولا يغنى في النجاة أن يتمسك المتمسك بأحد هما دون الآخر ، فقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله» (٤) ، فعدم الضلال مُناط بالتمسك بالكتاب والسنة معاً، فمن تمسك بأحد هما وترك الآخر ضل. فالخوارج تمسكوا بظواهر القرآن فقط فكانوا من أعظم أهل البدع بدعة.

وعن هذه الميزة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : «ولكن ينبغي أن يعرف أن عامة من ضل في هذا الباب أو عجز فيه عن معرفة الحق فإنما هو لتفريطه في اتباع ما جاء به الرسول ، وترك النظر والاستدلال الموصى إلى معرفته ، فلما أعرضوا عن كتاب الله ضلوا ، كما قال تعالى: ((قَالَ اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌ فَإِنَّمَا يَأْتِيُنَّكُمْ مَنِي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدًى فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)) [طه: ٢٣، ٢٤] ، قال ابن عباس : تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآية (٥).

ولهذا أخبر الله في غير موضع من كتابه بالضلال والعذاب لمن ترك اتباع ما أنزله ، وإن كان له نظر وجدل واحتقاد في عقليات وأمور غير ذلك ، وجعل ذلك من نعوت الكفار والمنافقين ، قال تعالى : ((وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئَدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئَدُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزَئُونَ)) [الأحقاف: ٢٦].

ولو نظرنا في تاريخ الفرق لعلمنا أن جميع العقائد المحدثة كانت بعد عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - وعهد أبي بكر وعمر وعثمان ، ثم كان مقتل عثمان - رضي الله عنه - وبدأ بذلك ظهور البدع ، حيث ظهرت الخوارج في عهد عليٍّ - رضي الله عنه - ، ثم تشعبوا وانقسموا إلى فرق عديدة. وكذلك لو نظرنا إلى المعتزلة - مثلاً - لوجدنا أن الاعتزال ظهر على رأس المائة الأولى ، وذلك عندما تكلم واصل بن عطاء في مجلس الحسن البصري عن مرتکب الكبيرة ، ثم جاء عمرو بن عبيد، ثم النظام والجبائي والعلاف وغيرهم ، حتى تأسس للمعتزلة عقيدة لم تكن من قبل. وقل مثل ذلك في كل الآراء التي حدثت بعد قرن الصحابة وأخطاء أصحابها في فهم عقيدة السلف بسبب النقص في العلم أو بسبب الهوى واتباع المتشابه.

الميزة الثانية أنها: عقيدة إجماعية :

فهذه العقيدة عقيدة مجمع عليها بين الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - والله عز وجل يقول : ((وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَبَعُ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ

وساءَتْ مَصِيرًا) [النساء: ١٥]، وعلى هذا فكل من خالف هذه العقيدة فقد خرج عن إجماع الصحابة.

والناظر في عقيدة أئمة علماء المسلمين المتفق على فضلهم وإمامتهم بين جمهور المسلمين يجد أنهم على هذه العقيدة الصافية.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، نجد أن من العلماء الذين هم على عقيدة أهل السنة والجماعة : جيل الصحابة - بلا استثناء - ، ثم من بعدهم أئمة التابعين كسعيد بن المسيب ، والحسن البصري ، وابن سيرين ، وعروة بن الزبير ، وغيرهم، ثم جاء من بعدهم سفيان الثوري ، وعبد الله بن المبارك ، وأبو إسحاق الفزارى ، وابن عيينة والإمام مالك ، ثم الإمام أحمد بن حنبل ، والشافعى ، والإمام البخارى ، والإمام مسلم ، وأصحاب السنن الأربع ، وغيرهم من العلماء كثير.

وبذلك نعلم أن هذه الأمة مهما تفرقت واختلفت فإنها لا يمكن أن تجتمع أبداً إلا على هذه العقيدة، وكل من حاول أن يجمع صفوف المسلمين على غير عقيدة أصلًا !! أو على عقيدة غير عقيدة أهل السنة ، فإنه ولاشك يروم المستحيل ، وكما قال الإمام مالك في كلمته المشهورة عنه : «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها».

الميزة الثالثة أنها: العقيدة المنجية:

فعقيدة أهل السنة هي عقيدة الفرقـة الناجية: لأنها هي التي سارت على منهج الصحابة -رضوان الله عليهم - وما زاغت ولا بدلـت ، وهي التي وصفها الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالنجاة، وذكر أن غيرها متـوـدة بالنـار، فـجمـيع الفـرق دـاخـلـة تحتـ الـوـعـيدـ، يقول الشاطـبـيـ رـحـمـهـ اللهـ تـعـالـىـ: (وـأـمـاـ عـلـىـ روـاـيـةـ مـنـ قـالـ فـيـ حـدـيـثـ «ـكـلـهـ فـيـ النـارـ إـلاـ وـاحـدـةـ»ـ، فـإـنـمـاـ يـقـضـيـ إـنـفـاذـ الـوـعـيدـ ظـاهـرـاـ، وـيـبـقـىـ الـخـلـودـ وـعـدـمـهـ مـسـكـوتـاـ عـنـهـ... إـذـ الـوـعـيدـ بـالـنـارـ قـدـ يـتـعـلـقـ بـعـصـاـةـ الـمـؤـمـنـينـ، كـمـاـ يـتـعـلـقـ بـالـكـفـارـ عـلـىـ الـجـمـلـةـ، وـإـنـ تـبـاـيـنـاـ فـيـ التـخـلـيدـ وـعـدـمـهـ) (٦).

وهذه العقيدة هي المنجية للإنسان من عذاب الله في الآخرة لمن تمسك بها وعمل بمقتضاها، وكذلك هي المنجية للإنسان في الدنيا: منجية له من البدع والضلال ، والحريرة والشك والخرافات. والذي ينظر في سير أهل البدع يجد أنهم يعيشون في اضطراب وشك وحيرة وظلمات بعضها فوق بعض. وأما أهل السنة والجماعة فهم على يقين من دينهم يعرفون ربهم ويعبدونه على بصيرة وحب وطمأنينة، والناظر في حياتهم يجد عجبًا من علو الإيمان ، ولذة المناجاة وما ذلك إلا لمعرفتهم الله سبحانه وتعالى ومآلـهـ مـنـ صـفـاتـ عـلـيـاـ وـحـكـمـةـ بـالـغـةـ وـرـحـمـةـ وـاسـعـةـ.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

«إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة» (٧)، ويقول - عندما سجن - : «ما يصنع أعدائي بي ؟ أنا جنتـيـ فيـ صـدـريـ ، إنـ رـحـتـ فـهـيـ مـعـيـ لـاـ تـفـارـقـيـ ، إنـ حـبـسـيـ خـلـوةـ، وـقـتـلـيـ شـهـادـةـ، وـإـخـرـاجـيـ مـنـ بـلـدـيـ سـيـاحـةـ» (٨)، ويقول عنه ابن القيم : «وـعـلـمـ اللـهـ ماـ رـأـيـتـ أحـدـاـ أـطـيـبـ عـيـشـاـ مـنـهـ قـطـ ، معـ ماـ كـانـ فـيـهـ ضـيقـ الـعـيـشـ وـخـلـافـ الرـفـاهـيـةـ وـالـنـعـيمـ ، بلـ ضـدـهـ ، وـمـعـ ماـ كـانـ فـيـهـ منـ الـحـبـسـ وـالـتـهـديـدـ وـالـإـرـهـاـقـ ، وـهـوـ مـعـ ذـلـكـ مـنـ أـطـيـبـ النـاسـ عـيـشـاـ، وـأـشـرـحـهـ صـدـرـاـ، وـأـقـوـاـهـ قـلـبـاـ، وـأـسـرـهـ نـفـسـاـ، تـلـوحـ نـضـرـةـ النـعـيمـ عـلـىـ وـجـهـهـ.

وكـنـاـ إـذـ اـشـتـدـ بـنـاـ الـخـوـفـ ، وـسـاعـتـ مـنـاـ الـظـنـونـ ، وـضـاقـتـ بـنـاـ الـأـرـضـ ، أـتـيـنـاـ ، فـمـاـ هـوـ إـلاـ أـنـ نـرـاهـ ، وـنـسـمـعـ كـلـامـهـ ، فـيـذـهـبـ ذـلـكـ كـلـهـ ، وـيـنـقـلـبـ اـنـشـرـاحـاـ وـقـوـةـ وـيـقـيـنـاـ وـطـمـانـيـنـةـ.

فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه ، وفتح لهم أبوابها في دار العمل ، فآتاهم من روحها ونسيمها
وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها» .

*يتبع

الهوامش :

- ١ - انظر المستدرك ١٢٨،/١
- ٢ - أخرجه بهذا اللفظ ابن أبي عاصم في السنة /٦٣، وصححه الألباني ، وهو في صحيح سنن ابن ماجه /٣٢٢٦.
- ٣ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١٠٨/١ - ١٠٩.
- ٤ - حسن محقق جامع الأصول ٢٧٧ / ١.
- ٥ - انظر تفسير ابن جرير ١٦ / ١٤٧.
- ٦ - الاعتصام ١٩٨، / ١
- ٧ - الوابل الصيّب / ٦٠.
- ٨ - المصدر السابق / ٦٠.

خواطر في الدعوة مازق البعد الواحد

محمد العبدة

بعض الناس إذا سمعوا قول القائل : (الناس أبناء ما يحسنون) أو قول الشاعر :
كن ابن من شئت واكتسب أدبأً يغنىك محموده عن النسب
أو قول أحد الحكماء: «الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية».. إذا سمعوا هذا يأخذون منه
استبعاد الأنساب وعدم الاهتمام بها وأنها لا تدخل في أي تقويم للإنسان ، والحقيقة أن مثل هذا الكلام
إنما يؤتى به لمعالجة من يقتصرُون على مآثر الآباء والانشغال بذكرها والاكتفاء بها، عن الجد
والعمل ، ولاشك أن صاحب همة عالية مغمور النسب أفضل من صاحب نسب دنيء النفس.
فالذين يأخذون هذا الجانب (النسب لا أهمية له) يتركون الجانب الآخر وهو أنه في مجرى
العادات ، فإن كرم الأعمام والأحوال مظنة الفضائل؛ فإنه لا يكون النخل من الحنظل ولا العكس.
وهل ينبع الخطى إلا وشيجه وترغس إلا في منابتها النخل

فلا تعارض بين قوله تعالى: ((إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْلَمُكُمْ)) وبين السؤال عن معادن الناس وقوله -
صلى الله عليه وسلم - : «خياركم في الجاهلية خياراتكم في الإسلام إذا فقهوا»، وهذا كما في الفرد
ذلك في الشعوب والقبائل، فبعض الشعوب لها خصائص معينة، وفيها ميزات يجب أن يستفاد منها،
دون إحياء لنعمة عنصرية أو قومية ضيقة.

ومن أمثلة الواقع في النظرة الأحادية الذين يظنون أنه بإصلاح شعبة من شعب العلوم أو الدعوة
تنصلح الأمور كلها، فمن يعتقد أنه بتحقيق المخطوطات وتصفيية التراث سيحل المشكلة فهو
مخطئ، ومن يظن أنه بإصلاح الوعظ والخطب وتبلیغ الناس بشكل عام سيحل المشكلة فهو
مخطئ، وقل مثل ذلك فيمن يرى أنه بتأليف الكتب وحدها وإلقاء المحاضرات والدروس ، فهذه كلها
وسائل للهدف المنشود، وهناك وسائل أخرى غيرها، وكل واحدة بمفردها لا تستطيع الحل ، فلا بد من

الشمولية ليس في التنظير فحسب ولكن في التطبيق والعمل ، وإذا اجتهد مسلم في جانب من هذه الجوانب وأنقذه وتفرغ له فلا بأس ، ولكن عليه أن يعلم بأنه يقوم بجزء وأن إخوة له يقومون بسد باقي التغرات، فيتعاونون كلهم ويكمّل بعضهم بعضاً، فإن هذا الدين لا ينصره إلا من أحاط به من جميع جوانبه .

فَكْر التَّفْكِيرُ الذَّرِيُّ

محمد محمد بدري

لكل نشاط عملي علاقة مباشرة بالطريقة التي يفكر بها صاحبه ، فإذا أصيب التفكير بمرض من الأمراض أو انعدم التفكير تماماً فإن ذلك النشاط يصبح مختلاً أو مستحيلاً !!
ولقد أصيب كثير من المسلمين بمرض خطير يجعلهم في حيرة أمام كثير من أمور الواقع لا يقدرون على فهمها، فما هو هذا المرض؟! إنه مرض «الذريّة» أو (الجزئية) في التفكير وهو مرض يمنع صاحبه من أن يربط بين الأحداث والواقع ، بحيث يجعلها داخلة تحت قاعدة واحدة أو يستخلص منها حقيقة كليلة عامة، فالمصابون بهذا المرض ينظرون إلى الواقع والأحداث حولهم وكأنها ذرات متتالية لا يربطها أي رباط عضوي أو يجمعها سياق واحد، وبالتالي لا يستطيع هؤلاء أن يستنتجوا قانوناً عاماً يمكن تطبيقه على كل حالة خاصة، فتكون قراراتهم في مواجهة الأحداث قرارات عاطفية لا ترتكز على مبادئ محددة أو أصول واضحة.
أصحاب هؤلاء مرض «الذريّة» لبعدهم عن عرائس الحكم ولباب الأصول التي دونها علماء الأمة في كتبهم، والتي توصلوا إليها باتخاذهم القرآن أنيساً وجليساً على مر الأيام والأعوام نظراً وعملاً، وباستعانتهم على ذلك بالاطلاع والاحاطة بكتب السنة ومعانيها، وبالنظر في آراء السلف المتقدمين واللتزام بما كان عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه.
تلك الأصول التي تربى من يقرؤها على طريقة التفكير العضوية - أو الكلية - التي تجمع بين الواقع في تسلسل وسياق واحد يمكنها من استنباط بالقانون العام - أو المقياس - الذي تقيس به الحالات الجزئية.

فإنما الشاطبي - رحمه الله - يقول :

«الأدلة المعتبرة هنا المستقرة من جملة أدلة ظنية تضافت على معنى واحد ، حتى أفادت فيه القطع ، فإن للاجتماع من القوة ما ليس للافتراق ، ولأجله أفاد التواتر القطع - وهذا نوع منه - ، فإذا حصل من استقراء أدلة المسألة مجموع يفيد العلم فهو الدليل المطلوب - وهو شبيه بالتواتر المعنوي - بل هو كالعلم بشجاعة عليٍّ - رضي الله عنه - ، وجود حاتم الطائي المستقاد من كثرة الواقع المنقوله عنهم» (١).

فهو - رحمه الله - يعرض كيفية افتتاح القطع من جملة أدلة ظنية، فلم يفتقر في الحكم بشجاعة عليٍّ - رضي الله عنه - إلى دليل خاص يقول بأن عليٍّ شجاع.. ولكن باستقراء حوادث كثيرة تتحدث عن موافق شجاعة عليٍّ - رضي الله عنه -.

«فالعموم إذا ثبت فلا يلزم أن يثبت من جهة صيغة عموم فقط، بل له طريقة أخرى، وهي استقراء موقع المعنى حتى يحصل منه في الذهن أمر كلي عام ، فيجري في الحكم مجرى العموم المستفاد من الصيغ»(٢).

فالشاطبي -رحمه الله- يصف هنا طريق الوصول إلى الأمر الكلي العام.. إلى القاعدة.. إلى المقياس.. عن طريق تصفح جزئيات المعنى.

ومن وصل إلى القاعدة الكلية استطاع أن ينزل على مقتضاها كل الجزئيات التي قد تختلف بظاهرها هذه القاعدة..

يقول الشاطبي -رحمه الله- : «وهذا الوضع كثير الفائد عظيم النفع بالنسبة إلى المتمسك بالكليات إذا عارضها الجزئيات وقضايا الأعيان ، فإنه إذا تمسك بالكلي كان له الخيرة في الجزئي ، في حمله على وجوه كثيرة»(٣).

وإذن فلا يكفي النظر في الأدلة الجزئية دون النظر إلى كليات الشريعة، وإلا تضاربت الجزئيات وعارض بعضها بعضًا في ظاهر الأمر.

ولقد عالج ابن تيمية -رحمه الله- مرض الذرية في التفكير بما سطره في كتابه القيم: (اقتضاء الصراط المستقيم) ، فروى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن نفراً كانوا جلوساً بباب النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال بعضهم : ألم يقل الله كذا وكذا؟ قال بعضهم : ألم يقل الله كذا وكذا (٤)؟ فسمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فخرج فكانما فقىء في وجهه حب الرمان ، فقال : «أبهذا أمرتم؟ أو بهذا بعثتم؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، إنما ضلت الأمم من قبلكم بمثل هذا، إنكم لستم مما هاهنا في شيء، انظروا الذي أمرتكم به فاعملوا ، والذي نهيتكم عنه فانتهوا».. يقول ابن تيمية -رحمه الله- : «وأكثر ما يكون ذلك لوقوع المنازعات في الشيء قبل إحكامه وجمع حواشيه وأطرافه» ١ هـ.

فالجمع بين أطراف الأدلة وعدم النظر إليها نظرة جزئية ذرية هو طريقة أهل السنة والجماعة ، وكم من ساعات تمر بسبب نقاش بين طرفين من الناس لو كان عندهم وضوح في فهم المسألة المتنازع فيها وجمعوا أطرافها وجزئياتها فربما لم يكن للنقاش مبرر.

وما نقلناه عن عالمين من علماء الأمة ، وإن كان يعالج مرض الذرية، في جانبه النظري إلا أن العلم - كما يقول الشاطبي - إنما يراد لنفع الأعمال في الواقع على وفقه من غير تخلف ، سواء كانت الأعمال قلبية أو لسانية أو من أعمال الجوارح (٥).

فكل علم لا يفيد عملاً فليس في الشرع ما يدل على استحسانه (٦).

وختاماً نرى أن مبادئ الإسلام هي الحصن الذي ستفشل تحت أسواره جميع المحاولات التي تستهدف سلب المسلم شخصيته وهويته ، فعلينا العودة إلى الأصول والمنابع التي منها نبع ديننا. ولنجعل لكتب الأصول مكاناً في قراءات كل منا ، فنحن نجد فيها «الإبرة المغناطيسية» التي تساعدنا للوصول إلى فهم قضيانا المعاصرة ، وتخلصنا من الخضوع في حركتنا لأخصائيين يشرفون عليها ، كما لو كانوا يمارسون لوناً من «لعبة الأمم المكيافيلية»، وتخلصنا قبل ذلك كله من الكساح العقلي ومن الذرية في التفكير.

الهوامش :

١ - الموافقات ١ / ١٣ - ١٥

٢ - الموافقات ٣ / ١٨٨

٣ - المواقفات ٣ / ١٦٧ .

٤ - ينظرون في القرآن نظرة جزئية ذرية.

٥ - المواقفات ١ / ٩٩ .

٦ - المواقفات ١ / ٦١ .

مراجعات في عالم الكتب الإسلام وحاجة الإنسانية إليه

الدكتور / محمد يوسف موسى

عرض وتقديم : محمد السيد الملحي

تعبيراً عن فضل الدين الحنيف علينا، وتجسيداً لدوره القيم فيما نقدم عرضاً متواضعاً لهذا المؤلف الطيب الذي جمع بين دقتيه كثيراً من سمات الإسلام ، وعديداً من خصائصه التي تعين الفرد على السير قدماً نحو التقدم والرقي في الدنيا، وتضمن له حياة هنية مريرة في الآخرة ، فقد حرص الكاتب في كتابه هذا على إبراز غايته التي قصد إليها في هذا الكتاب في سمتين عظيمتين :

١ - القصد المباشر نحو الفكرة التي يرنو إليها الكاتب ، دون اعوجاج أو تحذق.

٢- التدليل على الرأي بأسس ومبادئ علمية، وعرضها بصورة علمية صحيحة.

التعريف بالدين :

ففي الفصل الأول استعرض الكاتب فكرة الدين وأن الغريزة (١) الدينية وجدت مع الخليقة منذ النشأة الأولى، ولكنها - كما يقر المؤلف - حادت بعض الشيء عن الطريق المعين لها. ولذلك نجد الرسل لم يتحثوا إلى الناس في خلق هذا الشعور الديني ، ولكنهم قاموا بتوجيه هذه الميول الوجهة الصحيحة لتصل إلى الدين الحق ، ولهذا يكون الوحي الإلهي رحمة للناس جميعاً، إذ يهدي النفوس الضالة، ويساعد العقل على الوصول إلى الحق من أقرب الطرق وأيسرها على الإنسان . ونخلص من هذا الفصل إلى أن الدين أمر طبيعي غريزي في الإنسان أصيل في أعماق شعوره وأحاسيسه.

وهنا يقول الكاتب : «إن الاعتقاد في شيء أو كائن ما أو قوة من القوى والتدین به أمر طبيعي في الإنسان، وحاجة من حاجات النفس تهيمن على المرء طول حياته ، ومن ثم لابد من إروائها وإشباعها ، كسائر حاجات النفس الطبيعية الأخرى».»

الحاجة إلى الإسلام :

تناول المؤلف في الفصل الثاني مضمون الفكرة التي قام عليها الكتاب، فاستفتح الحديث عن تخطي الشعوب وتيه الأمم من جراء اليهودية المتعصبة، والمسيحية المحرفة، والزرادشتية المضللة ، والمزدكية التي تدعو إلى الإباحية الجنسية، وغيرها من الديانات التي عاشت في وجдан وعقل البشرية، فأضلت كثيراً من الشعوب ، وأصمت العديد منها عن الوعي السديد ، والحس المستثير، وجمدت حريات الغالب منها واعتقلت آرائهم وأفكارهم.

ومن خلال التناول العلمي لصور الديانات القديمة والحديثة، خرج علينا المؤلف بدور الإسلام الحنيف ، وحاجة الإنسانية الماسة إليه خاصة بعد ما حرم اليهود وحللوا لأنفسهم، وبعد ما

سيطر رجال الكنيسة على الحياة العلمية والعملية بصورة حمقاء، تصور الدين بأنه عدو للعلم ، وحجر عثرة لكل تقدم ورقي ..

وتأتي أهمية الإسلام لتحمي الشعوب من الخلط في الأنساب، وتفشي الأمراض التي جاءت من دعوة المزدكية للإباحية الجنسية المطلقة، إذ ذهب مؤسسها «مزدك» إلى أن أهل النساء وأباح الأموال وجعل الناس شركة فيها، اشتراكم في الماء والنار والكلأ.

ويعلق الكاتب على جدال النصارى وعقائدهم بقوله : لقد كان الإسلام ثورة على المجادلة الجوفاء في العقيدة، وحجة قوية ضد تمجيد الرهبانية باعتبارها رأس التقوى، وقد بين أصول الدين التي تقول بوحدانية الله وعظمته.. وهكذا كانت الإنسانية تتطلع منذ زمن طويل إلى دين جديد عادل رحيم ، وكان هذا الدين هو الإسلام الحنيف ، خاصة بعد أن أفلست كل نظم العالم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وبعد أن نجحت فيه فلسفات تدعو لإنكار وجود الله ، والتحلل من المسؤولية وفاضل الأخلاق.

من خصائص الإسلام:

نأتي إلى الفصل الثالث حيث يدلل المؤلف على أن الإسلام دين ضروري تحتاج إليه الإنسانية احتياجاً ماساً وشديداً، ففي هذا الفصل يعرض لنا الكاتب بعضًا من خصائص الإسلام التي تنفرد البشرية من هذا التخطيط، وتعيد لها صياغتها على الوجه الأكمل ، ومن هذه الخصائص التي جاءنا بها الكاتب :

١ - الوحدة الدينية :

وفي هذه الخصيصة جسد لنا المؤلف هذه السمة التي انفرد بها الإسلام حين ذكر لنا ما قامت به الرسالة المحمدية من نفي لجميع الآلهة التي كان الناس يعبدونها في ذلك الوقت ، ووحدت العقيدة وأفردت العبادة لـ الله واحد لا شريك له ، عالم بكل صغير وكبير في كونه ، محيط بكل شيء ومدبر لكل شيء.

ويذكر الكاتب هنا أن الإسلام لم يكتف بإقراره هذا التوحيد للـ الله الذي يستحق العبادة، بل بين لنا أن كل الرسل دعوا إلى هدف واحد، ورسالة من الله تعالى للبشرية بعامة تعينهم على الحياة الفاضلة والمطمئنة في ظل طاعة الله وتوحيده.

ثم جاء الكاتب بآيات من الذكر الحكيم تدلل على هذه الحقيقة، فقد جاء في آخر سورة البقرة (آية ٢٨٥) : ((أَمَّنِ الرَّسُولُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ أَمَّنْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا عُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ))، وقال أيضًا في نفس السورة آية ١٣٦ : ((قُولُوا أَمَّنَا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ))

٢ - الوحدة السياسية :

جاء الإسلام وكان حال الأمة العربية يرثى له ، حيث كان التفكك والتمزق والحمق والعداء، فكانت الحروب تقوم بين القبائل على أضعف الأسباب ، وتستمر أياماً ، بل وشهوراً ، وبعضها ظل سنيناً إلى أن جاء الإسلام.

فقد فض الرسول الكريم النزاع الذي ظل زمناً طويلاً بين الأوس والخزر، وآخى بين المهاجرين والأنصار، وغرس في قلوب أصحابه حب الخير والسلام ، ودعا الناس إلى التوحد والتجمع

والتزاور والتشاور، ونهى عن الخصام والعزلة عن الجماعة ، وهنا يقول الكاتب : كما كان من أثر هذه الوحدة السياسية التي جاء بها الإسلام وعمل بها الرسول والمؤمنون ، أنه لما لحق - صلى الله عليه وسلم - بالرفيق الأعلى ، واجتمع المسلمون في سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفة لهم ، رأى الأنصار أن لهم حقاً في أن يكون الخليفة منهم لسابق نصرهم للإسلام ورسوله ، ولكن أبا بكر والمهاجرين جمِيعاً - على عرفائهم فضل الأنصار وما ثرهم - ذهبوا إلى أن يكون الخليفة من قريش لما أثر عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - .. وهكذا قضي على النزاع وانتهى الأمر واستقر بينهما.

وفي هذا السبيل ، سبيل المحافظة على وحدة الأمة السياسية يرى فقهاء الإسلام أنه لا يجوز أن يكون هناك أكثر من خليفة في الأمة الواحدة.

٣ - الإسلام دين يحضر على التفكير :

أعرب الكاتب عن هذه الميزة التي جاء بها الإسلام ، ودعا إليها في صورة جلية وساطعة تقوم على الأدلة المستمدَّة من الكتاب والسنة ، فقد أعرب عن كون الإسلام دين يدعو إلى التفكير والتذكرة ، وأنه أدى رسالته نحو العقل والعلم ، كما أفصح عن حقيقة هامة يجب أن لا نغفل عنها ، ولا يغفل عنها من استفاد منها وهي : «دور العلم الإسلامي في التقدم والرقي الذي أضحت عليه العالم الغربي في العصور المتأخرة ، ومن الأسس والأدلة القرآنية التي أتى بها الكاتب ، لكي يثبت دعوة القرآن إلى العلم والتعلم والفكر والتفكير قوله تعالى: ((إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفُعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَ فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَائِبٍ وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)) [البقرة: ١٦٤]. وأحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التي تدعوا إلى العلم حين قال : «طلب العلم فريضة على كل مسلم» ، إلى غير ذلك من آيات وأحاديث نبهنا إليها الكاتب تدعم ما جاء به الإسلام لإحلال العقل محله المناسب.

وإذا كان الإسلام يحضر هكذا على ملاحظة الكون وظواهره ، وإعمال العقل والتفكير في كل ما يحيط بالإنسان ، وسائل ما خلق الله من الكائنات ، مما هذا إلا لأنَّه يريد منا أن نطلب العلم بكل سبيل ، ونترفع عن التقليد الأعمى ، ونبذل في سبيل العلم كل ما نملك من طاقات . فالإسلام دعوة إلى استعمال العقل والتفكير في شتى نواحي الحياة.

٤ - الإسلام دين الحرية والمساواة :

إن الحرية في الإسلام أصابت الحظ الوافر من التشريع الإسلامي ، بل ومن الإسلام نفسه ، فقد كانت النواة الأولى للحرية في الإسلام ممثلة في التحرر من عبادة الأصنام والسجود للآلهة المتحجرة والمتعبدة ، وإلى عبادة إله واحد لا شريك له.

ومع ذلك فإن الإسلام لم يجبر غير معتقديه على الدخول فيه ، قال تعالى : ((لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)) ، قوله للرسول - صلى الله عليه وسلم - في سورة يونس: ((وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَ مَنِ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)) ، ويأمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - بـألا يتعدى عمله عن التبليغ والانذار ، وهذا نراه في قوله تعالى : ((إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ)) وقوله : ((وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ)) ، وأيات كثيرة تجعل من العبادة مكنوناً جوهرياً لا دخل لأحد فيها سوى الإنسان ذاته.

ومن أسس الحرية التي جاء بها الكاتب في هذا الكتاب القيم الاجتهاد في التشريع مع ما يتمشى والكتاب والسنة، وينظر الكاتب هنا رأياً عظيماً للفقهاء في هذه المسألة، حيث يقول: إن الفقهاء يؤمنون بالحرية والمساواة ، ودليل على ذلك حين يكون هناك طفل غير معروف نسبة مع مسلم وكافر، فقال الكافر هو ابني، وقال المسلم هو عبدي ، يحكم الفقهاء في هذه القضية بنونة الابن للكافر من قبيل الحرية.

أما في جانب المساواة فقد أقر الكاتب أن التفاضل بين الناس في الدنيا يكون بالتقوى والعمل الصالح ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْقَاصُكُمْ)) ، والرسول الكريم يقول : « لا فضل لعربي على أعمجي إلا بالتقوى »، هذا وللحريه والمتساواة جوانب كثيرة وعديدة خصصها لها الإسلام، وشرعها لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

٥ - الإسلام دين ودولة :

يبين الكاتب في هذه النقطة وتلك السمة أن الإسلام لم يكن عقيدة دينية فقط ولا نظاماً أخلاقياً فحسب ، بل هو دين ودولة، بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان ودلائل.

فقد نظم الإسلام للإنسان المسلم حياته ومعاملاته مع أسرته ومع الناس ، وبين له سبل النجاح والردى في الحياة، ودله على الطريق الذي يؤدي به إلى العيش الهادئ المطمئن ، وفي جانب العبادات بين الدين الحنيف طريقة العبادة الله تعالى، وأعرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن كيفية التعبد لله سبحانه ، أما في جانب التعامل في الحياة العامة فقد رسم لنا القرآن الكريم في شخص رسول الله ص الحالة التي يجب أن يكون عليها الإنسان المسلم والوجه الصحيح الذي لابد وأن يصبح عليه المسلم الأمر الذي لم يدع جانباً واحداً من جوانب الحياة إلا وكان للإسلام دور رائد فيه.

وهنا يقول الكاتب : ومن هنا يحق للإسلام أن يكون دستوراً أزلياً يحكم به ، وتقوم شريعته لتفصل بين الناس ، وتقضي بينهم بما أمر الله تعالى، فمن طلب الهدى من غيره أضل له الله ، ومن أراد الفلاح والنجاح بدونه خسر وخاب ، وضل عن الطريق السديد.

وإن لم يكن للإسلام دور في هذا العالم المعاصر ، فلا بد أن ننتظر تخططاً واضطراوباً وتيها أكثر مما نعيشه الآن ، وذلك لأن المولى عز وجل قال و قوله الحق : ((وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنَكاً)).

الهوامش:

- استخدم الكاتب مصطلح الغريزة الدينية، ولو استخدم مصطلح الفطرة الدينية لكان أدق.
"التحرير"

مفاهيم إدارية

التنظيم

سامي سلمان

هذا رجل منظم في حياته ... هذه مؤسسة تتسم بجوانب تنظيمية جيدة ... إن انسياب الأوامر الإدارية يسير في نظام محكم ... إن تحقيق الأهداف المتمثل في هذا المستوى الرفيع ليدل دلالة واضحة على عمق التنظيم الذي يؤدي دوره في هذه المؤسسة.

كثيراً ما تتردد مثل هذه الكلمات على الألسن وفي صفحات الكتب ، وهي تشير إلى معنى التنظيم بمدلوله اللغوي والاصطلاحي ، والذي كان منه نظم اللؤلؤ في السلك الواحد عقداً جميلاً، ونظم الشعر ليكون قصائد متكاملة، وهو نفس المعنى الاصطلاحي الذي نرمي إليه في تعريفنا للتنظيم في مفهومه الإداري عندما نقول : إن التنظيم داخل المؤسسة هو تنظيم الجهود، وتنسيق الطاقات لمجموعة أشخاص، بحيث يمكنهم تحقيق أهداف المؤسسة التي ينتمون إليها.

وهذا النوع من التنظيم قديم منذ بدأ الإنسان يكافح في سبيل عيشه وأمنه وإثبات إنسانيته، فكان التنظيم في العهود البدائية أمراً بديهياً ولا شعورياً وطبعاً غير مكتوب أو مرسوم ، وكان المنظم هو العامل نفسه الذي يسعى وحده أو بالاشتراك مع أفراد أسرته إلى تأمين ضرورات العيش والأمن. وكان متعلقاً بالشخص نفسه فقط ، أي ينظم أوقات عمله وراحته ونومه ، وعندما أصبحت الأسرة وحدة الإنتاج ووحدة الاستهلاك في الوقت نفسه بدأ التخصص وتوزيع العمل بين أفراد الأسرة بشكل بديهي أيضاً حسب القدرة أو الطاقة لكل فرد، ثم خاض الإنسان مضمار التخصص ليرتقي ويحسن في مستوى المعيشى : فأنشأ مؤسسات تحتوي هذه التخصصات وتنظم جهودها في المجالات الزراعية والصناعية والخيرية وغيرها.

وبهذا يتضح أن التنظيم ضرورة وحاجة عندما ينمو حجم المؤسسات ، وتزداد التخصصات في المؤسسة الواحدة وتعقد العلاقات.

والحديث عن التنظيم لا يقل من شأن التخطيط ، ولكن الغالب على المؤسسات وخاصة في العالم العربي والإسلامي أنها تعاني من سوء التنظيم أكثر مما تعاني من سوء التخطيط.

@@@@@@@(@@@@)(@)

وكما يتضح من الرسم المرفق لدورة الإدارة فإن التنظيم عملية متكاملة تتبع تحديد الأهداف والاستراتيجيات التفصيلية ، والتي لابد من وجود من يدفع بها إلى مرحلة التنفيذ، ولهذا فإن التنظيم الجيد لابد أن يتتوفر فيه المواصفات التالية :

١ - التغطية الشاملة : أي أن لا ترك مهمة بدون مسؤول ، وأن لا يكون أكثر من مسؤول مباشر لمهمة ما في وقت واحد ومكان واحد.

٢ - الوضوح : بأن يعرف كل شخص واجباته والصلاحيات المسندة إليه للقيام بمسؤولياته ، وكذلك وضوح علاقاته بالأشخاص الآخرين.

٣ - التوازن بين الصالحيات المعطاة للشخص ل القيام بعمله والمسؤوليات الملقة على عاتقه .

من خلال هذه المقدمة التي تبين أهمية هذا الموضوع فإننا نلحظ افتقار كثير من المؤسسات إلى العناصر السابقة.

ومن الطواهر السلبية التي تعيشها هذه المؤسسات :

- ١ - المسؤوليات في قطاع معين أو عند أشخاص معينين دون مبررات مقنعة، وهذا يعني المركزية في اتخاذ القرار ، ويوفر طاقات جيدة غير عاملة، ويقتل كثيرةً من الطاقات ولا يسد إليها أي دور.
- ٢ - عدم وضوح المسؤولية لكل فرد فلا يعرف المسؤولون حدود مسؤولياتهم ومن يرجع إليهم من موظفيهم، مع وجود ازدواجية في المسؤولية أحياناً، كالرجوع إلى مسؤولين في مشكلة، أو يتدخل عدة مسؤولين من قطاعات شتى في مشكلة تحتاج إلى رأي واحد.

٣ - كثرة الشكاوى من عدم وضوح الأهداف العامة والأهداف المرحلية لعدم كفاءة السلطة الإدارية أو الهرم التنظيمي الذي يمكن المسؤولين على اختلاف مستوى مسؤولياتهم وتخصصاتهم من مسيرة الإدارة العليا لكثير مما تطمح إليه.

٤ - يكتفى كثيراً من هذه المؤسسات غموض التخصصات وتدخلها ، مما يقتل الإبداع في المجال التخصصي ، وبمعنى أوضح : فإن عدم إتاحة الفرصة لأصحاب التخصصات بإبراز ما تميزوا به التنظيم عن طريق مشاركة غير مؤهلين للمتخصصين يسيء إليهم ، ولا يجعلهم يبرزون في تخصصاتهم.

٥ - يشيع في مثل هذه المؤسسات عدم التناوب بين السلطة والمسؤولين والصلاحيات ، فنجد المعادلات الصعبة في وجود أصحاب مسؤولية بدون صلاحيات ، وأصحاب صلاحيات بدون مسؤوليات ، وسلطات موزعة بمقاييس لا تمت إلى الإدارة الحديثة بصلة.

٦ - من ذلك أيضاً غموض العلاقة بين الاستشاريين والتنفيذيين ، فتجد التداخل في هذا المفهوم يعم أرجاء المؤسسة ، مما يؤثر بشكل واضح على كيفية اتخاذ القرارات على كل مستوى. وأضف إلى ما ذكرت سابقاً سوء تحديد العدد المناسب من المرؤوسين تحت رئاسة المدير ، وعدم تقويض السلطة بالشكل المناسب ، وإغفال العوامل الفنية والإنسانية التي تؤثر في اختيار درجة المركزية واللامركزية.

وبعد هذا العرض للظواهر السلبية لكثير من المؤسسات التي لا يتتوفر فيها مفهوم التنظيم الإداري ذي الكفاية نعرض مزايا التنظيم بشكل مختصر:

١ - انتظام العمل وانسيابه بسهولة ويسر، حيث يتم تحديد الأعمال والمراحل التي تمر بها ، والأشخاص الذين يؤدونها.

٢ - تحديد الاختصاصات والصلاحيات والمسؤوليات ، بحيث يعرف كل فرد واجباته الأساسية والفرعية والإضافية، وعلاقة وظيفته بالوظائف الأخرى ، ويبين لكل قسم وإدارة حدود صلاحياتها وعلاقتها بالأقسام والإدارات الأخرى . فلا يحدث تنازع في الاختصاصات أو تضارب في السلطات.

٣ - الاستغلال الكفاء للإمكانات المتاحة (خبرات وجهود العاملين) والحصول على أقصى طاقة إنتاجية منها، وتحقيق التنسيق والتكامل بين تخصصات العاملين وخبراتهم ومهاراتهم ، وبين الإدارات والأقسام ، فيزيد احتمال الوصول إلى الأهداف المحددة بقدر كبير من الفعالية. وبناء على ذلك يتحقق التعاون والانسجام بين الأفراد والجماعات فتسير العلاقات الوظيفية، والاجتماعية بأقل قدر ممكن من التناحر والاحتباك.

وقد استطاعت نظريات علم التنظيم الحديثة الوصول إلى تحديد ما يسمى بالأسس العلمية للتنظيم السليم، والتي يفترض أن تكون مترابطة ترابطاًوثيقاً فيؤثر بعضها في بعض ، ويزداد عمق الحاجة إليها جميعها أو بعضها، حسب حاجة كل تنظيم إداري لأي مؤسسة. وسنذكر بعض ما اتفق عليه.

١ - وحدة الهدف :

لكل عمل هدف رئيسي تكونت من أجله المؤسسة ابتداءً، وهذا الهدف كي يتحقق لابد من تعريفه بصورة واضحة، ثم تقسيم الأهداف إلى أهداف جزئية وفرعية ومرحلية ، يكون بينها وحدة واتساق توصل بمجملها إلى تحقيق الهدف الرئيسي.

٢ - التخصص وتقسيم العمل :

إن اختيار العناصر المتخصصة التي تتقن العمل جزء لا يتجزأ من عملية التنظيم ، مما يتاح للعاملين التطور في مجالات تخصصهم وزيادة مسؤولياتهم ، وذلك بمساعدة رؤسائهم.

٣ - تسلسل خطط السلطة :

ويقصد بها تدرج حجم ومستوى السلطة المعطاة ، ومستويات التنظيم الإداري ، والتي تتوزع بشكل مناسب في الهياكل التنظيمية مع مستويات التنظيم الرئيسية الثلاثة : الإدارة العليا، الإدارة الوسطى، والإدارة التنفيذية : فلا تتركز السلطات في إحدى الحلقات دون الأخرى.

٤ - وحدة الأمر :

وهو نتيجة طبيعية للأسس السابقة، وتعني به توحيد جهة التلاقي للتعليمات من قبل رئيس أو مدير واحد، وذلك حرصاً على تحديد المسؤوليات وضمان التنسيق وتوحيد الجهود وعدم بعثرتها، وفي المقابل فإن عدم مراعاة هذا المفهوم يسبب ارتباكاً سيئاً الأثر في العمل وفي نفوس المسؤولين ، نتيجة لتنوع مصادر التوجيه والتلقي.

٥ - تناسب السلطة والمسؤولية :

وهي إحدى المعادلات الصعبة ، وتعني بالسلطة : الصالحيات المخولة لشاغل وظيفة معينة، وتتضمن حق إعطاء الأوامر والحصول على الأداء المردود من المسؤولين ، وحق اتخاذ القرارات. ويقرن بالسلطة عادة مفهوم آخر وهو القوة ، والتي تعزز السلطة ، وتعني : القدرة على توجيه سلوك الآخرين والتحكم فيه ، وهي حصيلة مركبات معينة يمكن اختصارها بـ :

- ١ - الثواب.
- ٢ - العقاب.
- ٣ - قوة الشخصية.
- ٤ - القدرة والخبرة والمعلومات.
- ٥ - القدرة المستمدّة من المنصب.

أما الطرف الآخر من المعادلة ، وهي المسؤولية ، فتعني الالتزام من جانب المسؤول بما تتطلبه وظيفته من أعباء ومهام لتحقيق أهداف تلك الوظيفة، فيسأل عن نتائج عمله ، وكل رئيس يسأل عن النتائج المترتبة على أدائه وأداء مرؤوسه.

أما المقصود بالمعادلة فهو التوازن بين السلطة والمسؤولين ، حتى يستطيع القيام بواجباته الفعلية المطلوبة منه. فمن الخطر أن تكون هناك سلطات واسعة ومسؤوليات قليلة، ومن الإجحاف أن تكون هناك مسؤوليات كبيرة وصلاحيات قليلة .

تربيـة

المدرسة الابتدائية بين الثواب والعـقـاب

عدنان محمد عبد الرزاق

لازال موضوع الثواب والعقاب يشغل بال كثير من المربيين والآباء والباحثين ، وإنهم وإن اتفقوا على الثواب وطرقه وفائته ، فقد كثر جدالهم حول العقاب وما يتركه من أثر ، وخاصة أشد

مراحله «العقاب الجسدي» ، وانقسموا فيه بين مانع ومطلق ومقيد، وإنني إذ أتناول هذا الموضوع المهم ، أترك الباب مفتوحاً لكل رأي وخبرة، لعلنا نصل بتوفيق الله إلى الصواب.

الثواب أثره وطريقه :

الثواب، الثناء، الشكر، المحبة، والعطف، الاهتمام، كلها تردد مصباً واحداً، وقد فطرت النفوس على حب من أحسن إليها، فطبيعة النفس البشرية تحب الثناء والشكر محبة اعتدال ، لأن زيادة الثناء والعمل من أجله قد يؤدي إلى الرياء وجاءت كثيرة من النصوص تلبي هذه الحاجة الفطرية. قال تعالى : ((وَأَمَّا مَنْ أَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلُهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرَنَا يُسْرًا)) [الكهف:٨٨]. ((هُلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)) [الرحمن: ٦٠] ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:-«من أتى إِلَيْكُم مَعْرُوفًا فَكَافَئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا لَهُ »[البيهقي] . وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله» رواه أحمد والترمذى بسند صحيح.

إن الطفل يحب من يهتم به ، ويعطف عليه ، لأنه يريد معرفة ردود الفعل على ما يقوم به من أعمال في عقله؛ لتصبح في المستقبل علامات لسلوكه وتصرفاته ، وكثير من انحرقوا بسبب فقدان هذا الاهتمام والمحبة، وأخرون يعملون أعمالاً لينالوا رضا مربיהם، والمربى يلاحظ هذا وذاك ويوجه ويساعد على التوازن.

الآن لاحظ كيف يغار الإخوة من المولود الجديد، وما ذلك إلا لشعورهم بأنه استثار أو سوف يستثار بالأبوين على حسابهم ، ولذلك كان من هدية - صلى الله عليه وسلم - العدل بين الأبناء. ابتسامة رضي من رب... أو مسحة رأس .. أو كلمة طيبة: جزاكم الله خيراً، أحسنت ، كل ذلك وسائل تفعل فعلها والتوسط في توزيعها، وتتجديد أساليبها وطرقها شيء مطلوب ، ورتبتها والإكثار منها يفقدها قوتها، وإخطار أولياء الأمور بالثناء المكتوب له أثر طيب ، وربما يكون حافزاً للمزيد من العطاء.

العقاب :

من الطبيعي أن يخطئ الإنسان ، «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»، هذا الكبير، فكيف بالصغير، وقد رفع عنه القلم.. لماذا؟ لأن نموه العقلي لم يكتمل بعد ولم يميز.

وفي بعض البلدان يسمون الأطفال «الجهال» ، فهذا الجاهل الذي أعزره الله إذا وقع منه خطأ هل نتركه...؟ طبعاً لا، لابد من العلاج، وكلمة العلاج تسوقنا إلى مثال طبي. لو جرحت يد أحد من الناس يداويها بالدواء الابتدائي السهل فإن برأ فذاك ، وإن زادت يرتفق بالدواء. وقد ذكر القرآن الكريم التدرج بالعقوبات في معالجته للخلافات الزوجية.

وقد اتفق المربيون على الابتعاد عن الكلام الجارح ، والتوبیخ الذي ينقص من شخصية الطفل ، أو يسبب له ردود أفعال سيئة، واتفقوا أيضاً على أن يكون كل ذلك بين المربى والتلميذ ، وليس أمام أحد من الناس.

ولكن تبقى هناك مشكلة اختلف المربيون وهي: هل يضرب الولد أم لا؟ وحتى تأخذ هذه المسألة أبعادها؟ لابد من معرفة متى يستحق التلميذ العقوبة؟ ونحن نعتقد أن هناك سببين لذلك :

١- ما يتعلق بالدرس والتحصيل.

٢- ما يتعلق بالسلوك والتربية.

فال الأول إما أن يكون سببه المدرس والمنهج ، وهذا لا علاقة للتلميذ به ، أو أن التلميذ مقصر في الاجتهاد والواجبات ، فهنا لكل حادث حديث عندها يبحث المربى عن الأسباب الحقيقة لهذا التقسيم

ويتصل بالبيت ويتعاون مع الأهل ، حتى يضعوا العلاج ولو أدى الأمر إلى صرف التلميذ إلى مجالات مهنية.

وأما السبب الثاني وهو الخطأ في السلوك وال التربية ، فالكذب ، والحيل ، والسرقة، والاعتداء ، والغياب عن المدرسة. وهذا سأضرب مثلاً لحالة من الخطأ السلوكي (السرقة) وطرق علاجها:

١ - الطريقة الأولى: أخذ التلميذ وضرب ضرباً شديداً حتى لا يعود لمثلها، وربما كان ذلك أمام أقرانه. ثم إذا حدثت أي سرقات في المستقبل يشيرون إليه، ولو كان بريئاً وسمى من قبلهم سارقاً.

٢ - الطريقة التربوية في العلاج : يؤخذ الطالب ويبحث معه ومع أهله (إذا لزم الأمر) عن الأسباب الدافعة للسرقة، بتكم ورفق. وأسباب السرقات عند الأطفال معروفة فهي إما عن حاجة أو عبث أو نكبة بزميله ، أو غير ذلك ، وإذا عرف السبب عولج الأمر من جذوره. فالمربون المتخصصون يقولون: لكل حالة عندهم حل ، يعتمد على التربية وعلم النفس والتجربة، وأن الضرب لا يحل المشكلة ، بل عندهم هو المشكلة ، إذ يكون مدخلاً لأنعدام التوازن النفسي عند التلميذ مما يكون له عواقب وخيمة على الفرد والمجتمع.

وأيدهم في هذا الرأي ممن استرشد بآثار الرسول - صلى الله عليه وسلم - مثل قول السيدة عائشة - رضي الله عنها-: ما ضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحداً قط بيده ولا أمره، ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله». رواه مسلم.

وعن أنس -رضي الله عنه-. قال : خدمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عشر سنين ، فما قال لي قط : أَفْ ، وَلَا قَالَ لِشَيْءٍ فَعَلَتْهُ : لَمْ فَعَلْتَهُ ، وَلَا لَشَيْءٍ لَمْ أَفَعَلْهُ : أَلَا فَعَلْتَ كَذَا . متفق عليه . وقال - صلى الله عليه وسلم - أيضاً : «إِنَّ الرَّفِيقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ، وَلَا نَزَعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ» رواه مسلم .

وحين كان أبو بكر -رضي الله عنه- يضرب غلاماً: قال الرسول - صلى الله عليه وسلم- : انظروا إلى هذا المحرم ماذا يفعل .. ومعلوم أن الضرب لا يفسد الإحرام. كما أيد منع الضرب كثير من الدول التي تعطي الأولوية لبناء مجتمع، سليم من أساسه يحترم فيه الفرد ليعود نفعه على المجتمع في المستقبل . ودول أخرى وإن لم يكن هذا همها إنما أيدت المنع لما ترتب على الضرب من آثار جسدية سيئة على الأفراد، إحصائيات وزارات التربية والداخلية مليئة بملفات قضايا ضرب الأولاد في المدارس وما ترتب عنه ابتداءً من الكدمات والجروح، مروراً بفقدان الحواس مثل السمع والبصر والأسنان ، انتهاء بالوفاة ، فأرادت أن تطوي صفحة من تلك الأمور ومنعت .

أما الذين سمحوا بالضرب فقد احتجوا ببعض الآثار: مثل قوله صلى الله عليه وسلم: «مرروا أولادكم بالصلوة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع» رواه أبو داود والترمذى.

وقد رد المانعون على أن الحديث في الصلاة للأب فقط ، وليس المربى مثل الأب وخاصة مع غياب المربى الناجح. وأية سورة النساء التي تبيح ضرب الزوجة من قبل زوجها فقط.

وهناك فريق ثالث قال: نحن مع المربين في ضرورة حل المشاكل بالطرق التربوية، والمحافظة على توازن التلميذ، ونحن لسنا مع المؤيدين للضرب لما يتربى على ذلك من آثار جسدية ، ونفسية واجتماعية ، ولكن ألا يوجد بعض الحالات الشاذة التي لا ينفع فيها نصح ولا مواعظة ولا علم نفس: ماذا نفعل؟ نرى أنه لا مانع بعد استنفاد كل الوسائل التربوية ، وبشرط أن

يكون الضرب غير مبرح ويتجنب الوجه والأماكن الحساسة. واشترط بعضهم إذن الأهل المسبق ، أو حصر ذلك بإدارة المدرسة ؛ لئلا يتسع بهذه الرخصة، أيد هذا الرأي بعض الدول ، وكذلك بعض المهتمين بأمور التربية، وعلم النفس ، وهذا ما تميل إليه النفس . والله أعلم .

البيان الأدبي بين جيلين

د. عمر عبد الله

توقف مفاجئ ومرعب أيقظ صاحبنا من نعاسه الثقيل، ليستيقظ على صوت الكابح المزعج، وقاصطدم رأسه في النافذة الجانبية لسيارة الأجرة، سائق سيارة الأجرة يتحفز وهو غاضب ، ويلقي بسيل من الشتائم والكلام السوقي القذر لصاحب السيارة التي كادت تصطدمه ، سائق السيارة الأخرى يخرج ليلقن سائق الأجرة درساً في القيادة والأخلاق، لكن سائق سيارة الأجرة يتلافاه ويمضي في طريقه ليكمل إطلاق عبارات الشتائم والسباب، التي انتشلت من الراكب وزوجته التي ترافقه طعم النوم ، والنعاس ، حتى «معاذ» الطفل الصغير أخذ يطلق معزوفة من البكاء المتواصل ، جعلت من الصعب على «جمال» أن يلقط سيل الشتائم المنطلق من في السائق الزنجي المتواتر،.. لقد كانت رحلة مضنية، غير خلالها ثلاث مطارات ، وقضى ١٥ ساعة في الجو خلال اليوم الماضي ، حتى وصل إلى نيويورك في هذا الصباح الخريفي المتباين ، وبعد أن طار النوم من عينيه أخذ يتأمل في ما حوله ، إنه يعبر الآن إلى «مانهاتن» ، وكأنه يمر على هذا الجسر المتهالك لأول مرة، كلا لفدي عبره مرات ومرات ، لكن المرة الأولى التي مر عليه فيها لازالت ملتصقة بذاكرته بوضوح ، كانت المرة الأولى التي يغادر فيها وطنه مع أبيه وهو ابن خمس سنين ، لازال يذكر حالة الذهول والانبهار التي انتابتة حينما وصل إلى نيويورك ، كان الوقت قريباً من عيد رأس السنة المسيحية والمدينة غارقة في بحر من الأضواء والزينات، زادت من حالة التحديق التي انتابت ذلك الصبي الذي انتقل من مدینته الصغيرة الصحراوية ، والتي كانت وكأنها تعيش عصراً آخر لا يمت بصلة لهذه المدينة، الحلم ، ومنذ أن لامست قدماه أرض المطار الضخم وصالاته الواسعة وهو لا يستطيع إلا أن يعيش حلم اليقظة الجميل ، حتى الطرق السريعة التي لم يع حقاً ضخامتها وسرعتها ، كانت بمثابة طائر عملاق يطير بأجنحة متعددة، أما الفندق الذي نزل فيه وأبوه وأمه فإنه كان آية في الفخامة والرقي المادي ، الذي بدا خيالياً لابن الخامسة، بل حتى بالنسبة لأبيه وأمه اللذين حاولا التكيف مع هذا الكم الهائل من المشاهد والصور والمتغيرات بصورة بدت مبالغة فيها حيناً، ومضحكة أحياناً أخرى، مضحكة له الآن .. لكنها لم تكن تعني شيئاً كثيراً من معاني السخرية والتناقض لذلك الصبي..، مضحكة تلك اللحظات والمواقف التي تفرض على مخلوق لا يملك حيالها سوى المضي والانكسار، مضحكة ذلك المنظر عندما كانت أمه تحاول أن تظهر بمظهر «غربي» متحضر حينما «فرض» عليها من والده ، كانت المرة الأولى التي تلبس ملابس غربية ، وهي التي لم تفارق عباءتها وخمارها فقط ، مضحكة أن يقلد عصفور النورس طاووساً حينما يستعيض بعض الرئيس الملون، عليه يكون مألفاً في مجتمع الطواويس، كذلك بدا له المنظر باعثاً للحيرة والاضطراب لوجه ألفه لسنوات في وضع معين ليجده فجأة وبدون مقدمات وكأنه لا يمت للمخلوق الذي أحبه بشدة، وعشقه بإخلاص ، لم يكن ذلك المنظر سوى صورة واحدة

لمشاهد صدم بها وظللت في ذاكرته مختزنة لسنوات طويلة، صوت الكابح يقطع حبل تفكيره مرة أخرى.. لكنه يكتشف سبب الخطأ هذه المرة ..، إنه سائق سيارة الأجرة، وليس السيارة «المظلومة» التي كال لها السائق الزنجي سيلًا من شتائمه العنيفة مرة أخرى، كاد أن يرد على سائق الأجرة اللامبالي، لكنه فضل أن يستمر في تداعياته ، لاسيما وأنه لا يملك النشاط ولا الرغبة في الحوار، لقد ضبطتك سائق الأجرة، هذه المرة، قال لنفسه : إن سائق الأجرة ينظر إلى ذلك المنظر العجيب الذي جري في المقعد الخلفي ، وهذا هو السبب في أصوات المكافحة المتكررة، لقد بدت على سائق سيارة الأجرة علامات الدهشة الصامتة، وصور التساؤل المحير الذي عصف بجمال وهو صبي، حينما تعرض لمواقف من التناقض ، والحقيقة المتالية، سائق الأجرة لازال يسترق النظر إلى الراكب ومرافقه ، وعيناه تكادان تنفجران بالتساؤل الملح الذي لم يترجم إلى كلمات ، بل إلى أخطاء قيادية كادت أن تودي بالمركبة إلى جانب الانحدار الخطر. فجأة نطق السائق :

- من أي بلد أنت؟

جانب الحذر الذي انغرس في التعامل مع الآخرين علم جمال أن يكون لطيفاً بحذر.

- من الشرق الأوسط.

- أين يقع الشرق الأوسط. أفي إسرائيل؟

- كم هو عجيب أن تكون صورة العالم مشوهة إلى هذا الحد في ذهن الأمريكي ، لم يتغير الحال حتى بعد عقدين من معاشرته للقوم ، وبعد أحداث صاحت حياة كثير منهم ودفعتهم للاهتمام بهذا الجزء من العالم ، رد بصورة نمت عن رغبة في إنهاء الحوار.

- ليس قريباً منها إنها جزء يبدو أنها منه!

لقد فهم مغزى السؤال ، فمنظر زوجته التي تخرمت ولم يبد من وجهها سوى العينين كان مبعث السؤال ولا شك.. وتنهد.. تنهد حينما قارن بين وضع أمه قبل عقدين وهي تحاول أن تبدو «منسجمة» مع المحيط الجديد، ومنظر زوجته وقد تميزت بذلك الزي الذي يبعث على التساؤل، ويصر على الذاتية، كلا الوضعيين مثير، ويبعث التساؤل والاستفهام ، لكنهما يمثلان تصوراً لجيلين ، وعهدين ، و موقفين ، جيل أبييه الذي كان يحاول أن يجد الجواب في «الذوبان» في الآخر، المنتصر، وجيله الذي رأى خسارة الرهان على المشروع المغلوب بوضوح، رأه هزائم، وانكسارات، وتبعية، وسلططاً، من الآخر المنتصر، للضعف المغلوب على أمره المسحور بلب العدو وطبله، وكأنه تداو بسم بدا لذيناً وشهياً، مرة أخرى، صوت الكابح وتوقف مستمر ، لكن إذاناً بالوصول إلى الفندق هذه المرة، أخذ جمال عائلته الصغيرة وتوجه نحو موظفة الاستقبال ؛ ليسجل المعلومات الضرورية، ويأخذ طريقه نحو الغرفة، ومرة أخرى انتبه شعور آخر يختلف تماماً عن الشعور الذي أحس أنه يحتاج أباه وأمه وطفلها ابن الخمس ، فحينما أتوا نيويورك قبل عشرين عاماً كان كل شيء ساطعاً، وكل مكان يرون به باهراً، وكل لحظة يمرون بها أقرب للحلم ، أما اليوم فإن هذه المدينة لا تثير في نفسه شيئاً من ذلك، فلا الشعور بالصدمة الحضارية يغشاه، ولا الضخامة المادية تثيره، فليس هناك أمر مادي يقرب نحو دائرة العجب ، ولا لحظة يراها تثير فيه الانبهار، لقد تقلص الحاجز كثيراً بين مدينته الصحراوية، ومدينة الخرسانة العملاقة التي أخذت في دخول عصر الشيخوخة، وتعرض آلامها وأمراضها، نيويورك تلك لا تمت بصلة إلى هذه ، لا شعوراً، ولا واقعاً، وبالتالي تحجم الدهشة، والتحقيق، والانبهار، والإعجاب، قد تقلص كثيراً و كثيراً، ولم يبق لديه في تلك اللحظة سوى رغبة ملحة لأن ينال قسطاً من الراحة بعد هذه الرحلة المرهقة، سرعان ما تحققت حينما ألقى بجسده المنهاك على الفراش ليغط في نوم عميق ...

اقذفونا بالحجارة (شعر)

شعر : مروان كجك

اقذفونا بالحجارة واعرضونا للتجارة
نحن أولى من يهود نحن يا جيل الخسارة
فاقتذفونا بالحجارة
قد كذبنا وانتشينا وسرقنا وارتضينا
وظلمنا كل طفل وجنين في المحاره
فاقتذفونا بالحجارة
لم ندع فيها شيئاً نظيفاً أو عاصميأ نظيفاً
لم ندع شيئاً كفيفاً لم يذق منها المرارة
فاقتذفونا بالحجارة
نحن بعنامكم جهاراً لم نجد في الأمر عاراً
وعصينا الله فيكم وانخدعنا بالشطاره
فاقتذفونا بالحجارة
نحن جرأنا اليهوداً ومنحناهم عهوداً
واحتززنا كل رأس لا يرى هذي الحضارة
فاقتذفونا بالحجارة
لم نرم فيكم صلاحاً أو نضالاً أو كفاحاً
لم ندع فيكم رماحاً فانهزمنا عن جداره
فاقتذفونا بالحجارة
نحن أكثرنا الملاهي ورميـنا بالدوادي
وقتلنا كل ناهي قد رمانا بالقداره
فاقتذفونا بالحجارة
نحن أقسمنا اليمينا وحـثـنا فابتـلـينا
واحتـلـنا فـرـضـيـنا وفرـرـنا عن مهـارـه
فاقتذفونا بالحجارة
نحن أرسـينا السـجـونـا وـمـلـأـنا الـأـرـضـ هـوـنـا
وبـثـثـناها عـيـونـا واستـهـنا بـالـخـفـارـه
فاقتذفونا بالحجارة
نحن أسلـمـنا الـقـيـادـا لـعـدـوـ قدـ تـمـادـي
وـمـنـحـناهـ الـمـرـادـا فـرـأـيـ فـيـناـ اـنـتـصـارـا
فاقتذفونا بالحجارة
قدـ كـنـزـناـ الـمـالـ كـنـزـأـ وـحـسـبـناـ الـأـمـرـ أـجـزـىـ
وـحـرـمـناـ الـشـعـبـ خـبـزاـ وـضـنـنـاـ بـالـخـسـارـه

فاذفونا بالحجارة
نحن فرقنا الصفوفاً نحن أرغمنا الأنوفاً
ودفناكم ألوفاً في انتشاء وحراره
فاذفونا بالحجارة

الصفحة التعليمية

علامات الترقيم

جواباً على طلب بعض القراء وضعنا هذه الصفحة التعليمية التي نطرح فيها موضوعات تتعلق بلغتنا العربية. وسوف يكون العرض ميسراً وسهلاً ما أمكننا ذلك. وفي هذا العدد نتكلم عن علامات الترقيم : صورتها أو شكلها، أين توضع ، وكيف؟ ومثال على استعمال كل منها.

١ - علامة الترقيم : الفاصلة (،)

أين توضع وكيف : بعد النداء، وبين أجزاء الجمل
المثال : يا باجي الخير، أقبل ، ويما باجي الشر، أقصر.

٢ - علامة الترقيم : الفاصلة تحتها نقطة (·)

أين توضع وكيف : بين جملتين إدعاهما سبب حدوث الأخرى
المثال : إن كنت مسافراً ؛ فودع أهلك.

٣ - علامة الترقيم : النقطة (۔)

أين توضع وكيف : في نهاية الفقرة أو المعنى
المثال : خير الناس أنفعهم للناس.

٤ - علامة الترقيم : النقطتان (۔)

أين توضع وكيف : قبل القول المنقول أو ما في معناه
المثال : قال الله تعالى : ((عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُم)).

٥ - علامة الترقيم : علامة الحذف (...)

أين توضع وكيف : للدلالة على كلام محذوف من النص
المثال : وقف في ساحة المدرسة ... ثم أنسد

٦ - علامة الترقيم : علامة الاستفهام (؟)

أين توضع وكيف : بعد صيغة السؤال أو الاستفهام
المثال : ما مهنتك؟

٧ - علامة الترقيم : علامة التعجب (!)

أين توضع وكيف : بعد كلمة أو جملة أو معنى متعجب منه
المثال : ما أجمل أيام الربيع!

٨ - علامة الترقيم : علامة الاقتباس (" ")

أين توضع وكيف : يوضع بينهما كلام منقول

المثال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لا ضرر، ولا ضرار».

٩ - علامة الترقيم : الشرطة المعتبرة (-)

أين توضع وكيف : توضع قبل وبعد الجملة الاعترافية
المثال : إني - والحمد لله - بخير.

١٠ - علامة الترقيم : القوسان الحاصلتان ([])

أين توضع وكيف : يوضع بينهما كلام ليس من النص أصلاً، أو زائد عليه.

المثال : إن فلسفة شوبنهاور [فيلسوف ألماني مشهور] تشبه فلسفة أبي العلاء المعري.

١١ - علامة الترقيم : القوسان (())

أين توضع وكيف : يوضع بينهما أرقام أو مرجع داخل النص

المثال : خرجت فرنسا مدحورة من الجزائر عام (١٩٦١) (١) .

الهوامش:

١ - يمكن الاستئناس بالصفحة الأخيرة من هذا العدد كمثال تطبيقي لاستعمال بعض علامات الترقيم.

تاريخ

ابن سباء في كتابات المعاصرين

د. محمد أمحزون

إذا كانت شخصية ابن سباء حقيقة تاريخية لا لبس فيها في المصادر السنوية والشيعية، المتقدمة والمتاخرة على السواء، فهي كذلك أيضاً عند غالبية المستشرقين أمثال : يوليوس فلهمازن (١)، وفان فولتن (٢)، وليفي ديلافيدا (٣)، وجولد تسيهير (٤)، ورينولد نكلسن (٥)، وداويت رونلسن (٦)... على حين يبقى ابن سباء محل شك أو مجرد خرافية عند فئة قليلة من المستشرقين أمثال: كيتاني (٧)، وبرنارد لويس (٨)، وفريد لندر المتأرخ (٩) .

كما أن شخصية ابن سباء تبقى محل اتفاق عند المحدثين من أهل السنة ما عدا فئة قليلة من تأثروا بمنهج الاستشراق (١٠)، أو من حجبهم الغموض الذي أثاره غيرهم حول شخصية ابن سباء ، فلازموا الإنكار (١١)، وفي أحسن حال شكوا في أمره (١٢)، أو تذبذبوا بين الإنكار تارة، والإقرار بوجوده تارة أخرى (١٣) .

وبالنسبة للشيعة المعاصرين ، فأغلب ما كتبوه عن ابن سباء ، إنما هو إنكار لوجوده ، فهو عند بعضهم أقرب إلى الوهم منه إلى الوجود (١٤)، وعند البعض الآخر أقرب إلى الخيال والأسطورة منه إلى الواقع (١٥) .

أما المستشرقون فقد كان هدفهم من ذلك التشكيك أو الإنكار هو ادعاء أن الفتن إنما هي من عمل الصحابة أنفسهم ، وأن نسبتها إلى اليهود أو الزنادقة هو نوع من الدفاع عن الصحابة ، لجأ إليها الإخباريون والمؤرخون المسلمين ، ليعلقو أخطاء هؤلاء الصحابة على عناصر أخرى.

على أن إنكار بعضهم لشخصية عبد الله بن سباء إنما يرجع إلى رغبتهم في الانتهاء إلى النتيجة التالية: لا حاجة لمخرب يمشي بين الصحابة، فقد كانت نوازع الطمع وحب الدنيا والسلطة مستحوذة عليهم ، فراحوا يقاتلون بعضهم بعضاً عن قصد وتصميم ، يقول أحدهم بأن ابن سباء

ليس إلا شيئاً في نفس سيف أراد أن يبعد به شبح الفتنة عن الصحابة، وأنها إنما أتت من يهودي تستر بالإسلام (١٦).

والقصد من ذلك الإساءة إلى الإسلام وأهله ، وإلقاء في روع الناس أن الإسلام إذا عجز في تقويم أخلاق الصحابة وسلوكيهم وإصلاح جماعتهم بعد أن فارقهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بمدة وجيزة، فهو أعجز أن يكون منهجاً للإصلاح في هذا العصر.

وجريأً وراء منهج المستشرقين في التشكيك في شخصية ابن سباء، والتهوين من خطر العناصر المخربة في الإسلام ، انساق بعض الباحثين العرب إلى التهوين من شأن ابن سباء، أو حتى إنكار شخصيته واعتبارها شخصية أسطورية.

يقول أحد هؤلاء المشككين : «أراد خصوم الشيعة - يقصد أهل السنة - أن يدخلوا في أصول هذا المذهب عنصراً يهودياً إمعاناً في الكيد له والنيل منهم» (١٧).

ثم يتساءل في خبث : «أكان لابن سباء أن يجد مجالاً ليثبت أفكاره بين من هم أكثر منه علمًا ودرية بأحكام الإسلام» (١٨).

هذا وقد بني شكه في هذه القضية على سببين باطلين هما:

أولاً: زعمه أن هذه القصة قد اختلفوا أهل السنة للتشنيع على الشيعة، وقد كان عليه قبل أن يلقى بظلال الشك جزافاً، وذلك دأبه ، أن يتتأكد على الأقل من أن هذه القصة انفردت بها مصادر أهل السنة، وأن مصادر الشيعة قد خلت منها، وهو أمر لم يكلف نفسه عناء البحث فيه ، لأن منهجه الذي سار عليه في كتاباته هو الشك وإساءة الظن بالآخرين والقذف بالاتهام دون تثبت.

والزعم بأن أهل السنة اختلفوا هذه القصة باطل ، لأن مصادر الشيعة هي الأخرى أثبتتها كما سلف ذكره. فالشيعة إذاً متفقون مع أهل السنة على أن عبد الله بن سباء هو الذي أوجج نيران الفتنة على عثمان رضي الله عنه ، وهو الذي أظهر العداء لأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وهو الذي أظهر الغلو في علي رضي الله عنه. وقال بالنصل على إمامته ، إلى غير ذلك من معتقداته الباطلة.

وبهذا يسقط اعتراض طه حسين على القصة بزعمه أنها من مفتريات أهل السنة، وحاشاهم ذلك ، إذ يتذرع اتفاق جميع مصادرهم على الكذب ، بل كان غالبية أصحابها من العلماء الثقات المشهود لهم بتحري الصدق فيما يكتبونه وينقلونه.

ثانياً: أما اعتراضه الثاني ، وهو إكثاره للصحابة بأن يستطيع مثل ابن سباء أن يفعل ما فعل ، فليس هذا إكثاراً وإنما هو رغبة لإظهارهم بأنهم هم الذين أثاروا الفتنة ضد عثمان ، فهو يعلم أن ابن سباء بث أفكاره بين دهماء الناس وعامتهم ، وليس بين الصحابة، وهؤلاء الدهماء كان لهم دور مؤسف في قتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ، وفي معركة الجمل ، وما أعقبهما من نكبات ومصائب.

أما الشيعة فيرجع سبب إنكارهم لوجود ابن سباء فيما يبدو إلى عقيدته التي يثناها وترسبت إلى فرق الشيعة ، وهي عقيدة تتنافي مع أصول الإسلام ، وتضع القوم موضع الاتهام والتشبهة، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لما للعداء التاريخي في نفوس الشيعة نحو الصحابة، ورغبة لإظهارهم بأنهم هم الذين أثاروا الفتنة بينهم.

على أن من طعن من الشيعة في وجود شخصية ابن سباء فقد طعن وبالتالي في كتبهم التي نقلت لعنات الأئمة المعصومين عندهم في هذا اليهودي الماكر، وكيف يتصور أن تخرج اللعنات من المعصوم على مجهول! مع أنه لا يجوز في معتقد الشيعة تكذيب المعصوم !!

وفي الختام يتتأكد بعد استقراء المصادر سواء القديمة والمتاخرة، عند السنة والشيعة، أن وجود عبد الله بن سبأ كان وجوداً حقيقةً تؤكده الروايات التاريخية، وتقيض فيه كتب العقائد، وذكرته كتب الحديث ، والرجال ، والأنساب والطبقات ، والأدب واللغة، وسار على هذا النهج كثير من المحققين والباحثين والمحدثين(١٩).

ويبدو أن أول من شك في وجود ابن سبأ بعض المستشرقين ، ثم دعم هذا الطرح الغالبية من الشيعة المحدثين ، بل وأنكر بعضهم وجوده البتة، وبرز من بين الباحثين العرب المعاصرین من أعجب بآراء المستشرقين ، ومن تأثر بكتابات الشيعة المحدثين ، ولكن هؤلاء جميعاً ليس لهم ما يدعون به شکهم وإنكارهم إلا الشك ذاته ، والاستناد إلى مجرد الظنون والفرضيات .

الهوامش :

- ١ - يولياس فلهاوزن : *الخوارج والشيعة*، ص ١٧٠.
- ٢ - فان فولتن : *السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات* ، ص ٨٠.
- ٣ - Levi delavida , *the Encyclopedia of Islam Vi , P: 51*
- ٤ - جولد تسيهير: *العقيدة والشريعة في الإسلام* ، ص ٢٢٩.
- ٥ - نكلسن : *تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية وصدر الإسلام* ، ص ٣٣٥.
- ٦ - رونلسن : *عقيدة الشيعة*، ص ٥٨.
- ٧ - كيتاني : *حوليات الإسلام* ، ج ٨، سنة ٣٣ - ٣٥ ، ص ٤ (نقلً عن الدكتور عبد الرحمن بدوي : *مذاهب الإسلاميين* ، ج ٢، ص ٣٠-٣١).
- ٨ - برنارد لويس : *أصول الإسماعيلية*، ص ٨٦.
- ٩ - انظر عبد الرحمن بدوي : *المصدر السابق* ، ج ٢ ، ص ٢٢ - ٢٣.
- ١٠ - مثل طه حسين : *الفتنة الكبرى (علي وبنيه)*، ص ٩٠ - ٩١.
- ١١ - مثل عبد العزيز الهلابي : *عبد الله بن سبأ*، ص ٧٣.
- ١٢ - أمثال علي النشار: *نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام* ، ص ٢٨ ، ومحمد عماره : *الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية*، ص ١٥٥.
- ١٣ - مثل جواد علي الذي يبدو التناقض في كلامه عند حديثه عن السبيئة، فتارة يقر بوجودها وبدورها في الأحداث فيقول : «والظاهر أن السبيئة كانت من أكثر الكتل السياسية التي ظهرت في أيام عثمان نظاماً» (*مجلة المجمع العلمي العراقي*، المجلد السادس ، ص ٨٤)، ثم يقول بأن السبيئة - في نظره - هي المسئولة عن قتل الخليفة عثمان (المرجع نفسه ، ص ١٠٠)، وتارة أخرى يكاد يجعل من السبيئة أسطورة أقرب منها إلى الواقع ، ويستهين من شأنها (*مجلة الرسالة*، عدد ٧٧٨، ص ٦٠٩ - ٦١٠) ، ويأخذ على الإمام الطبرى ورواته تضخيم دور ابن سبأ في مصر وإثارته الفتنة فيها، ويقول : إن أحداً من الرواة غير «يزيد الفقusi» لم يذكر هذه الآثار لابن سبأ في مصر، وقد غاب عنه رواية الحافظ ابن عساكر في (*تاریخ دمشق*) التي لم يكن راویها هو يزيد الفقusi ، بل جاءت من طريق أبي حارثة وأبي عثمان قالا: «لما قدم ابن السوداء مصر عجمهم واستخلهم واستخلوه ، وعرض لهم بالكفر فأبعدوه ، وعرض لهم بالشقاق فأطمعوه ، فبدأ بالطعن على عمرو بن العاص وقال : ما باله أكثركم عطاءً ورزقاً؟» (*تهذيب تاريخ دمشق* ، ج ٧، ص ٤٢٣).
- ١٤ - أمثال علي الوردي : *وعاظ المسلمين* ، ص ٢٧٣، وكامل مصطفى الشيبى : *الصلة بين التصوف والتشيع* ، ص ٤١ - ٤٣.

- ١٥ - أمثال عبد الله الفياض ، تاريخ الإمامية، ص ٩٥ ، ومرتضى العسكري: عبد الله بن سباء، ج ١ ، ص ١٤٨ ،
- ١٦ - وهو فريد لندر الذي كتب عن ابن سباء مقالاً شرته المجلة الآسيوية الصادرة بألمانيا عام ١٩٠٩ م. انظر: عبد الرحمن بدوي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢ - ٢٣ ،
- ١٧ طه حسين : الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، ص ٩٠ ،
- ١٨ - طه حسين : الفتنة الكبرى (عثمان)، ص ١٣٢ - ١٣٤ ،
- ١٩ - أمثال محمود شاكر: الخلفاء الراشدون، ص ٢٢٥ ، ويوفس العش : الدولة الأموية، ص ٦٦ - ٦٩ ، ود. عمار الطالبي : آراء الخوارج ، ص ٦٦ - ٦٧ ، وسعيد الأفعاني : عائشة والسياسة، ص ٦٠ ، ود. محمود قاسم: دراسات في الفلسفة الإسلامية، ص ١٠٩ ، ود. عبد الرحمن بدوي : مذاهب الإسلاميين ، ج ٢ ، ص ١٧ - ٢٤ ، وإحسان الهي ظهير: الشيعة والسنّة، ص ٢٩ - ٣١ ، ود. سعيد الهاشمي : ابن سباء، مقال نشره في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨ م ص ٢٠١ وما بعدها، ود. عزة عطية: البدعة، ص ٧٣ ، وأنور الجندي : طه حسين وفكره في ميزان الإسلام ص ١٧١ ، ومحب الدين الخطيب: حاشية العواصم ، ص ٤ - ٥٧ ، وإبراهيم شعوط : أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ، ص ١٤٧ .

**من أرشيف البيان
تاريخ الأمم والملوك
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى
٣١٠ - ٢٢٤**

**محب الدين الخطيب رحمه الله-
مفاراتق :**

من عجيب المفارقات في تاريخنا وتاريخ الأمم الأخرى ، وفي موقفنا من تاريخنا وموافق الأمم الأخرى من تاريخها ، أن تكون أغنامن جميعاً في كل ما يبني به تاريخ الأمة من أنباء ونصوص ومراجع وقرائن وإشارات وتحقيقات ، ثم تبقى أفقهن وأقلهن انتقاماً بهذه الثروة في إقامة معالم تاريخنا على أساسها ، بينما الآخرون قد أحدثوا - حتى من الأوهام - مكتبات جديدة لأجيالهم وجمahir قرائهم، حافلة بالطلي الشهي من صفحات ماضيهم، فوثقوا أو اصر خلفهم بسلفهم، ويسروا لهم القدوة الحسنة بعظمة العظامء من نوابغهم، بعثوا لهم من ذلك الماضي صوراً حية ترتفع الرءوس بأمجادها، وتمثل القلوب بإجلالها واحترامها، وطمئن العقول إلى تعليل تصرفاتهم والاعتبار بها ومواصلة السير نحو أهدافها.

مواطن ضعف :

ومواطن الضعف - التي أدت ببعض معاصرينا من حملة أمانات التاريخ العربي والإسلامي إلى أن يكون انتقامهم بهذه "التركة" ضئيلاً - لا يكاد يأتي عليها الحصر - وما يتدار إلى الذهن منها الآن : أمران :

أولهما : أن الذين تثقفوا منا بثقافة أجنبية عنا قد غلب عليهم الوهم بأنهم "غرباء" عن هذا الماضي ، وأن موقفهم من رجاله ك موقف وكلاه النيابة من المتهمين . بل لقد أوغل بعضهم في الحرص على الظهور أمام الآخرين بمظهر المتجرد عن كل آصرة له بماضي العروبة والإسلام ، لئلا يتهم في زعمه بالعصبية لهما ، فوضع نفسه في موضع التهمة بالتحامل عليهما ، جرياً وراء بعض المستشرقين في ارتياحهم حيث تحسن الطمأنينة ، وفي ميلهم مع الهوى عندما يدعوهم الحق إلى التثبت ، وفي إنشائهم الحكم وارتياحهم إليه قبل أن تكون في أيديهم أشباء الدلائل عليه . ولو أن إخواننا هؤلاء نشأوا على الإيمان بأنهم هم أصحاب هذه "التركة" ، وبأن هذا الماضي ماضيهم ، وأن جيلنا حلقه في سلسلة هذا الماضي ، وأن أحدهاته ثروة لنا في القدوة والاعتبار ، لنظرروا إليه بعين الأم إلى ابنها ، إن لم ينظروا إليه بعين الابن إلى أمه ، ولا يكون ذلك إلا بتبني هذا التاريخ ، والحرمة له ، وبث الحياة في أمجاده ، والحرص على استجلاء جماله ، وإبراز فضائله ، وتحري مواطن العزة والاعتبار في أخطائه ، وحسن التعليل لذلك بالرقة والإنصاف وكمال التقدير . على أنه إذا كان هذا حال أهل الصبر منا على البحث والدرس ، فما بالك بالأخرين الذين قد تقع أنظار الواحد منهم على بحث فج لمستشرق ناشئ أو منسي ، فيتحول ذلك البحث من غير تعب ، ويزعنه لقرارنا مبتكرةً من عنده ، وينقله لنا محرف الأعلام ، متضارب الأحكام ، مزدوج العي ، ملتهب الحماسة في التحامل حتى على الفضائل عندما ينظر إليها - بعينه أو بعين من ترجم عنه - من وراء منظار أسود . ذلك أحد مواطن الضعف في دراستنا للتاريخ العروبة والإسلام ، أما الموطن الآخر فهو ما لاحظه على بعض المعاصرین لنا من اشتباه الأدلة التاريخية عليهم ، وحييرتهم بين جيدها وأجودها ، بل فيهم من لا يميز بين الجيد منها والرديء ، مع أن ذلك كان في متناول يده لو سبق له معرفة موازين رواتنا في النقد ، أو وقف على مناهجهم في التأليف ومصطلحاتهم في الرواية ، ومراميهما في الاستشهاد .

وقد اخترت اليوم من هذه المراجع كتاب (تاريخ الأمم والملوك) للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبرى (٢٤٠ - ٣١٠) لأن الحديث عنه إلى إخوانى المشتغلين بالتاريخ ، ومن يحاولون الانتفاع به في الاستدلال والنقل ، لأنى رأيت منهم من يظن أن إيراد الطبرى لخبر من الأخبار كاف لتحميل هذا الإمام مسؤولية الخبر الذى أورده ، واعتباره هو المصدر لهذا الخبر ، وأن الأخبار التي يوردها سواء كلها في ميزان الصحة عنده ، وأن عزوهم الخبر إلى الطبرى ودلائلهم على موضعه من تاريخه تتم بهما مهمتهم من الاستدلال ، وتبرأ بذلك ذمتهم من عهدة هذا الخبر ، ويبقى الطبرى هو المتحمل لمسؤولية ما يترتب على ذلك في الحكم على أحداث التاريخ وعلى أقدار رجاله وتصرفاتهم . إن ظنهم هذا لا يغني من الحق شيئاً ، وإن الطبرى ليس هو صاحب الأخبار التي يوردها بل لها أصحاب آخرون أبداً هو ذمته بتسميتهم ، وهؤلاء متفاوتون في الأقدار ، وأخبارهم ليست سواء في قيمتها العلمية ، ولا يتم اعتبار الطبرى مرجعاً في التاريخ إلا بإكمال المهمة التي بدأ بها ، وهي تقدير أخباره بأقدار أصحابها ، وفيها ما يعد من سلسلة الذهب ، وفيها مالا تزيد قيمته على قيمة الخزف ، ولكل ذلك نقاده وصياراته وتجاره ، وهم يعرفون أقدار هذه الأخبار عند التعريف بأقدار أهلها ، وقديماً قيل : وما آفة الأخبار إلا رواتها .

أنت لك هذا؟

إن كل خبر في تاريخ الطبرى ، بل كل نص يتناقله أهل العلم في أجيال الإسلام ، له عند أهله قيمة رفيعة أو وضيعة ، على قدر شرفه أو خسته بالرواة الذين ينسب إليهم ذلك الخبر أو ذلك النص .

فشرف الخبر في التراث الإسلامي تبع لصدق راويه ومنزلته من الأمانة والعدالة والتثبت ، لذلك امتازت كتب سلفنا الأول بتسمية الرجل المسؤول عن أي حديث نبوي يوردونه فيها ، وبيان المصدر الذي جاءوا منه بأي خبر تحدثوا به إلى الناس . ولو لم يسموا الرجل المسؤول عن الحديث النبوي عند إيراده ، ولو لم يبينوا المصدر الذي حصلوا منه على أي خبر يودون ذريعة بين الناس ، لطالبهم بذلك علماء الثقافة الإسلامية بأشد من مطالبة المحاكم من يدعى ملكية العقار أو الحقل بما يثبت ملكيته له ومن أين صار ذلك إليه ؟

وإذا كان مبدأ "أني لك هذا" مما سنه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في مشروعية امتلاك الأموال ، فإن أبناء الجيل الذي منه عمر بن الخطاب هم الذين سنوا للناس بعدهم وجوب بيان مصادر العلم ، كما سنوا لهم وجوب بيان مصادر المال ، والعلم أثمن عندهم من المال وأشرف ، وأنفع منه وأبقى . نحن نعتبر تاريخ الطبرى الآن من أقدم مصادرنا ، وكان تاريخ الطبرى في النصف الثاني من القرن الثالث (أي قبل أحد عشر قرناً) يعد من مصادر التاريخ الإسلامي الحديثة بالنسبة إلى المصنفات التي دونت قبله بثلاثة بظون ، بل بأربعة . ولعل أقدمها مغازي مؤرخ المدينة موسى بن عقبة الأسدى المتوفى سنة ١٤٠ هـ ، وهو الذي يقول فيه الإمام مالك : "عليكم بمعاذى ابن عقبة فإنه ثقة ، وهي أصح المغازى" وابن عقبة من تلاميذ عروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص الليثى ، ومن طبقة تلاميذه العراقيين سيف بن عمر التميمي الكوفي المتوفى بعد سنة ١٧٠ هـ ، وله في سنن الترمذى حديث واحد ، والطبرى يروى عنه بواسطتين ، أي عن شيوخه وهم عن شيوخهم الذين كانوا تلاميذ لسيف . ومن طبقة تلاميذ موسى ابن عقبة مؤرخ الشام أبو إسحاق الفزارى الحافظ المتوفى سنة ١٨٦ هـ ، وهو حفيد أسماء بن خارجة الفزارى وكان له كتاب في التاريخ أثنى عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في "مقدمة أصول التفسير" (١)، بعد أن قال : "إن أعلم الناس بالغازى أهل المدينة، ثم أهل الشام ، ثم أهل العراق ، فأهل المدينة أعلم بها لأنها كانت عندهم ، وأهل الشام كانوا أهل غزو وجهاد فكان لهم من العلم بالجهاد والسير ما ليس لغيرهم . ولهذا أعظم الناس كتاب أبي إسحاق الفزارى الذي صنفه في ذلك ، وجعلوا الأوزاعى أعلم بهذا الباب من غيره من علماء الأمصار" .

ويأتي بعد تلاميذ موسى بن عقبة طبقة يحيى بن سعيد بن أبان بن العاص الأموي المتوفى سنة ١٩٤ هـ ، ومن مؤرخي الشام الوليد بن مسلم أبو العناس الدمشقي مولى الأمويين المتوفى سنة ١٩٥ هـ ، ومحمد بن عمر الوافدى المدنى قاضى العراق المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ، ثم كاتبه المؤرخ الحافظ الثقة محمد بن سعد بن منيع البصري (١٦٨ - ٢٣٠) . ومن هذا الجو العلمي استمد أبو جعفر الطبرى هديته الكبرى إلى الأمم الإسلامية بما سجله وخلده من جهود شيوخه وشيوخ شيوخه ومن سبقهم إلى زمان التابعين والصحابة ، فلم يترك مهماً من أخبار سلف الأمة مما أثر عن الأئمة الذين سمينا بعضهم إلا وقد دون طرفاً منه ، ناسباً كل خبر إلى صاحبه وإلى من يرويه عنهم صاحب ذلك الخبر من شيوخه وأسلافهم .

الأخبار الضعيفة عند الطبرى :

لم يقتصر الطبرى على المصادر التي أشرت إلى بعضها ، بل أراد أن يقف قارئه على مختلف وجهات النظر ، فأخذ عن مصادر أخرى قد لا يثق هو بأكثرها ، إلا أنها تفيد عند معارضتها بالأخبار القوية ، وقد تكمل بعض ما فيها من نقص ، كما صنع بنقله كثيراً من أخبار أبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي الذى قال فيه الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال : "أخبارى تالف لا يوثق به ، تركه أبو حاتم وغيره" وقال ابن معين : ليس بثقة . وقال مرة : ليس بشيء . وقال ابن عدي :

شيعي محترق ، صاحب أخبارهم. مات قبل السبعين ومائة" . فقد نقل الطبرى من أخباره في مئات المواقف ، ولو أن الذين ينقلون عن الطبرى ويقولون عنه ، استقوا أخبار من لوط بن يحيى هذا واكتفوا بعزوها إلى الطبرى لظلموا الطبرى بذلك ، وهو لاذب له بعد أن بين لقارئه مصادر أخباره ، وعليهم أن يعرفوا نزعات أصحاب هذه المصادر ويزنوها بالموازين العادلة اللائقة بهم وبها. إن مثل الطبرى ومن في طبقته من العلماء الثقات المتبثتين - في إيرادهم الأخبار الضعيفة- كمثل رجال النيابة الآن إذا أرادوا أن يبحثوا في قضية فإنهم يجمعون كل ما تصل إليه أيديهم من الأدلة والشهادة المتصلة بها، مع علمهم بتفاهم بعضها أو ضعفه ، اعتماداً منهم على أن كل شيء سيقدر بقدره . وهذا الطبرى وكبار حملة الأخبار من سلفنا كانوا لا يفرطون في خبر مما علموا من ضعف ناقله خشية أن يفوتهم بإهماله شيء من العلم ولو من بعض النواحي .

إلا أنهم يوردون كل خبر معزولاً إلى راويه ليعرف القارئ قوة الخبر من كون رواته ثقات أو ضعفه من كون رواته لا يوثق بهم ، وبذلك يرون أنهم أدوا الأمانة ، ووضعوا بين أيدي القراء كل ما وصلت إليه أيديهم ، قال الحافظ ابن حجر في ترجمة الطبراني من لسان الميزان : "إن الحفاظ الأقدمين يعتمدون في روایتهم الأحاديث الموضوعة مع سكتهم عنها على ذكرهم الأسانيد ، لاعتقادهم أنهم متى أوردوا الحديث بإسناده فقد برئوا من عهده ، وأسندوا أمره إلى النظر في إسناده" .

ومن فوائد إيراد الحادث الواحد بأخبار من طرق شتى وإن كانت ضعيفة قول شيخ الإسلام ابن تيمية في مقدمة تفسير القرآن (ص ٣٠ - ٣١) : "إن تعدد الطرق مع عدم التشاير أو الاتفاق في العادة يوجب العلم بمضمون المنسوق (أي بالقدر المشترك في أصل الخبر) لكن هذا ينتفع به كثيراً في علم أحوال الناقلين (أي نزعاتهم والجهة التي يحتمل أن يتعرض لها بعضهم) وفي مثل هذا ينتفع برواية المجهول ، والسيئ الحفظ ، وبالحديث المرسل ونحو ذلك ، ولهذا كان أهل العلم يكتبون مثل هذه الأحاديث ويقولون: إنه يصلح للشهاد واعتبار ما لا يصلح لغيره . قال أحمد: "قد اكتب حديث الرجل لأعتبره" .

ومن الإنصاف أن نشير إلى أن اتساع صدور أئمة السنة - من أمثال أبي جعفر الطبرى - لإيراد أخبار المخالفين من الشيعة وغيرهم . دليل على حرمتهم ، وأمانتهم ، ورغبتهم في تمكين قرائهم من أن يطلعوا على كل ما في الباب ، واثقين من أن القارئ الحصيف لا يفوته أن يعلم أن مثل أبي مخنف موضع تهمة - هو ورواته - فيما يتصل بكل ما هم متعرضون له ، لأن التعصب يبعد صاحبه عن الحق . أما سعة الصدر في إيراد أخبار المخالفين فهي دليل على عكس ذلك ، وعلى القارئ الحصيف أن يأخذ ما صفا ويدع ما كدر ، وأن يستخلص الحق عند ما يكون موزعاً أو معقداً .

الانتفاع بأخبار الطبرى :

إنما ينتفع بأخبار الطبرى من يرجع إلى تراجم رواته في كتب الجرح والتعديل . فترجم شيوخه مباشرة وشيوخهم توجد في الأكثر في مثل تذكرة الحفاظ للذهبي . وترجم الرواية الذين كانوا إلى أواخر المائة الثانية توجد في خلاصة تهذيب الكمال للصفي الخزرجي وتقريب التهذيب وتهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر . والذين تناولهم الجرح من الضعفاء يترجم لهم الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال والحافظ ابن حجر في لسان الميزان . وفي طبقات ابن سعد وتاريخ بغداد للخطيب وتاريخ دمشق لابن عساكر وتاريخ الإسلام للذهبي والبداية والنهاية لابن كثير . وإن كتب مصطلح الحديث تبين الصفات الالزمة للراوى ومتي يجوز الأخذ برواية المخالف . ولا نعرف أمة عن مؤرخوها

بتمحیص الأخبار وبيان درجاتها وشروط الانتفاع بها كما عني بذلك علماء المسلمين . وإن العلم بذلك من لوازم الاشتغال بالتاريخ الإسلامي ، أما الذين يحتطبون الأخبار بأهوائهم . ولا يتعرفون إلى رواثتها ، ويكتفون بأن يشيروا في ذلك الخبر إلى أن الطبری رواه في صفحة كذا من جزئه الفلاني ويظنو أن مهمتهم انتهت بذلك ، فهو لا من أبعد الناس عن الانتفاع بما حفلت به كتب التاريخ الإسلامي من ألوان الأخبار ، ولو أنهم تمكنوا من علم مصطلح الحديث ، وأنسوا بكتب الجرح والتعديل ، واهتموا برواية كل خبر كاهتمامهم بذلك الخبر لاستطاعوا أن يعيشوا في جو التاريخ الإسلامي ، ولتمكنوا من التمييز بين غث الأخبار وسمينها ، ولعرفوا للأخبار أقدارها بوقوفهم على أقدار أصحابها .

وبعد فإن ترکة سلف هذه الأمة - في كل ضرب من ضروب المعرفة - من أنفس ما ورثت عن أسلافها، وقد كانت لعلمائنا الأقدمين مشاركة في علوم كثيرة ، فجاءت مؤلفاتهم مرتبطة بعضها ببعض ومكملاً بعضها البعض . والذي أفسد في التاريخ واعتمدوا فيه على الرواية ، وبالغة منهم في أداء الأمانة كاملة وافية ، لا يجوز لمن ينطلق عنهم أن يقصر في عرض تلك الأخبار على قواعد علم الرواية وعلى المعاجم المؤلفة في تراجم الرواية ، وإن لم يفعل أخطأ الطريق ، وكان عمله خارجاً عن مناهج العلماء .

عن مجلة الأزهر ، المجلد ٢٤

١- ص ٢٢ طبع السلفية .

واحة البيان

مرزوق النفيعي

كتب عمر بن عبد العزيز إلى أحد عماله :

أما بعد : فقد أمكنتك القدرة من ظلم العباد ، فإذا هممت بظلم أحد ؛ فاذكر قدرة الله عليك ، وأعلم أنك لا تأتي إلى الناس شيئاً إلا كان زائلاً عنهم ، باقياً عليك ، واعلم أن الله آخذ للمظلومين من الظالمين ، والسلام .

* * *

قال الحسن البصري :

من أخلاق المؤمن قوة في دين ، وحزم في لين ، وحرص على علم ، وقناعة في فقر ، وإعطاء في حق ، ويسير في استقامة ، وفقه في يقين ، وكسب في حلال .

* * *

من دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - :

رب أعط نفسي تقوها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت ولها ومولاها .

[زاد المعاذ ٢٦٣/١]

* * *

قال أبو علي الروذباري :

صحبت عبد الله بن المبارك في إحدى أسفاره ، فلما دخلنا البدائية قال :

تكون الأمير أم أكون ؟ قلت : بل أنت ، قال : فعليك السمع والطاعة ، فأخذ المخالة ووضعها على عاتقه ، فقلت : دعني أحمل عنك ، فقال : أنا الأمير أم أنت ؟ فقلت : أنت ، فمكثنا ذات ليلة إذ أخذ المطر ، فأخذ الكسأ فأظلني وترك نفسه إلى الصباح ، فوددت أني مت ولم أقل كن أميراً ، فلما أردت الافتراق قال : يا أبا علي ؛ إذا صحت إنساناً فاصحبه هكذا .

* * *

قال عبد الله بن معاوية :

ولست بمفتش سرّه حين يغضب قليلٌ، فصلهم دونَ من كُنْتَ تَصْحَبُ وَمَنْ هُوَ ذُو نَصْحٍ وَأَنْتَ مُغَيَّبٌ	ولست ببادِ صاحبي بقطيعةٍ عليك بإخوان ثقاتٍ فإنهم وما الخِدْنُ إِلَّا مَنْ صفا لك وُدُّهُ
---	--

شؤون العالم الإسلامي **إيران تحت الشيعة الأفغان** **للتقارب مع نظام نجيب**

أحمد زيدان

اقترح وزير الخارجية الإيرانية إجراء محادثات مباشرة بين ممثلين عن حكومة باكستان وإيران ونظام كابل والمجاهدين الأفغان بهدف ما أسماه تحقيق السلام وإعادة الهدوء لأفغانستان ، وأضاف في مقابلة صحافية أجرتها معه هيئة الإذاعة البريطانية باللغة الفارسية أن هذا الاقتراح هو الأول من نوعه الذي تقدمه إيران ، وكان الغزل الإيراني مع نظام كابل قد بدأ منذ توقف الحرب العراقية - الإيرانية التي رافقها تحسن ملحوظ في علاقات روسيا - إيران ، الأمر الذي انعكس على علاقة إيران مع نجيب الله .

ومنذ انسحاب القوات الروسية من أفغانستان والعلاقات بين النظمتين تتنامى ، خاصة في التبادل التجاري حيث يلعب الملياردير الأفغاني الشيعي قاري أمان نوائي الذي يسميه الأفغان بـ (نور ج Kami Afghani) أي (مخزن الأفغان) لثرائه وغناه حيث إنه يرفض تشغيل أي شخص غير شيعي لديه .

كما انتعشت المؤتمرات الثنائية بين البلدين، وبدأت إيران بدعوة نظام نجيب إلى المؤتمرات التي تعدها مثل مؤتمر الصحة العالمية الذي عقد بالقرب من اجتماع للمجاهدين الأفغان مع التحالف الثماني الشيعي المستقر في طهران سابقاً ، الأمر الذي أثار الشكوك حول لقاء المجاهدين مع ممثلين عن حكومة كابل ، وكانت إيران تهدف من هذه اللقاءات والأمكنة القريبة من بعضها إلى إثارة الشكوك حول المجاهدين الأفغان، كما استقبل البرلمان الإيراني رئيس البرلمان الأفغاني التابع لنظام نجيب الله .

تجدر الإشارة إلى أن نائب رئيس نظام كابل الحالي سلطان علي كشمند من الشيعة الهزارة الذي تصفه المصادر الأفغانية بأنه مقرب من إيران ، وقد أثار تعين شقيقه أسد الله كشمند قائماً بالأعمال في إيران شكوكاً كبيرة في أعقاب انسحاب القوات الروسية ، والكثير من المراقبين يرون في تعينه إيماءة قوية من نظام كابل لإيران حيث أنه شيعي وشقيق لرئيس الوزراء السابق الشيعي الذي ترقى

أخيراً إلى منصب نائب الرئيس نجيب، وتقول مصادر المجاهدين بأن سلطان علي كشتمند غدا شخصية قوية في نظام كابل حتى بدأ بتجميع الشخصيات الشيعية حوله.

إيران تدعوا لإشراك الشيوعيين في الانتخابات :

دعا وزير الخارجية الإيراني في مقابلة صحفية معه أيضاً إلى إشراك أعضاء من الحزب الشيوعي الأفغاني في الانتخابات القادمة ، وقد عقب (عبد العلي مزاري) الناطق الرسمي باسم حزب الوحدة الإسلامية الشيعية الجديد والذي يضم تسعة أحزاب شيعية على هذا التصريح بأن الأحزاب الشيعية لا تزيد إشراك الشيوعيين في الانتخابات ، وقد وافق مزاري في مؤتمره الصحفي في بيشاور على إشراك ظاهر شاه في الانتخابات . وتخوف إيران كثيراً من وصول شخصية مثل المهندس قلب الدين حكمتير أمير الحزب الإسلامي إلى السلطة في كابل خاصة وهو بشتوني وهم معروفون بعدائهم للشيعة بعدم قبول سيطرة الأجانب عليهم وقد عبر عن هذا التخوف الصحفي الباكستاني الشيعي مشاهد حسين المقرب من إيران عندما قال بعد عودته من طهران بأن المسؤولين هناك متذمرون من وصول حكمتير إلى الحكم في كابل مما سيؤدي إلى وقوع أفغانستان بأيدي المتطرفين - على حد زعمهم - .

الشيعة يعززون مواقعهم في حكومة نجيب :

نقلت مصادر موثوقة في كابل بأن نظام نجيب الله قد حاول ملء فراغ قادة انقلاب حركة السادس من مارس بقيادة تاناي ببعض الشخصيات ، فكان معظمهم من الإسماعيلية والشيعة ، وبعد هدوء الأوضاع حاول نجيب إقالتهم إلا أنه فشل في تحقيق أهدافه خاصة بعد أن دعمهم سلطان علي كشتمند وعزز مواقعهم خاصة في قيادة الجيش والاستخبارات، وبعد انقلاب تاناي التقى نجيب مع مندوبي عن التحالف التساعي الشيعي الأفغاني المستقر في طهران ومما جاء في كلمته قوله : "أود أن أقول في لقائي هذا بأن شعب المهازرة (الشيعة) شعب مظلوم وهو في نفس الوقت شعب صادق ومخلص في الدفاع عن وطنه ولا ننسى موقفه المشرف مع أمان الله عندما قام ضده المتطرفون والذين يقفون بوجهنا اليوم حيث إنه أراد إصلاح البلاد فوقفتهم إلى جانبه حتى آخر لحظة من سقوطه" وكان يشير بهذا إلى وقف جماعة المهازرة إلى جانب الملك أمان الله في تحديث البلاد بوجهة غير إسلامية فوقف في وجهه العلماء . ولم ينس نجيب أن يدفع عواطف الشيعة في العزف على وتر خطر الوهابية التي تعتبر ببعض الشيعة عندما قال : "إن انقلاب تاناي حكمتير كان بأمر من المخابرات الباكستانية والوهابية السعودية" .

وتقول مصادر المجاهدين القادمة من كابل بأن الشيعة قد شكلوا عدةألوية عسكرية شيعية تشرف على قطع طرق المجاهدين في الهجوم على كابل ومعهم سيد جكرن .

ولا تستبعد مصادر المجاهدين إذا حصلت انتخابات في هذه الفترة أن يقوم نجيب بالسماح للشيعة الأفغان الموجودين داخل المناطق التي يسيطر عليها بالذهب لأماكن الاقتراع في المناطق المحررة خاصة وأن أغلب مناطق الشيعة ليست تحت سيطرة نجيب مما يجعل تحقيقهم لنتائج أكثر من نسبتهم أمراً أكيداً .

خاص بالبيان - من أفغانستان :

كشفت مصادر أفغانية عالية المستوى أثناء حدثها لـ (البيان) على أن انفجار "أوجري" الذي هز إسلام آباد أوائل إبريل ١٩٨٨ قد استهدف تدمير الأسلحة المخزونة للمجاهدين الأفغان في العاصمة الباكستانية، وربطت المصادر بين التفجير والتوفيق على اتفاقيات جنيف في ١٤ إبريل ١٩٨٨ بين الحكومة الباكستانية ونظام كابل بضمانات أمريكية روسية . حيث قامت أمريكا عن طريق عملائها في باكستان بهذا التفجير بعد أن تيقنت من مسألة الانسحاب الروسي من أفغانستان الذي كانت تعتبره السبب الرئيسي لدعمها المجاهدين الأفغان ، وقد حرص الأمريكيان أثناء الانسحاب الروسي من أفغانستان على عدم مهاجمة المجاهدين لقوافل الروس المنسوبة ، وللأسف فقد اختلفت وجهات نظر المجاهدين حيال مسألة الهجوم على القوافل المنسوبة، وتقول المصادر الأفغانية بأن المجاهدين ومعهم الرئيس الباكستاني ضياء الحق كانوا في طمأنينة من أن الأسلحة والذخائر الموجودة في معسكر أوجري تكفي المجاهدين لاسقاط نظام كابل ، وعقب التفجير فقد أظهر الأمريكيان أنهم مستعدون للتعويض عن هذه الأسلحة ولكن كانوا يتذرون مرة بالشحن الجوي وصعوباته؛ وأخرى بمشاكل الشركات العسكرية التي تقوم بتوريد الأسلحة والذخائر .

تجدر الإشارة إلى أن آلاف من الصواريخ قد دمرت وفجرت في هذا الانفجار منها ستمائة صاروخ ستينغر الذي لعب دوراً في إسقاط الطائرات العسكرية الروسية ، كما قتل الآلاف وأعیق العشرات من الآلاف من سكان مدينتي إسلام آباد وراولبندي حيث ظن أهالي المدينتين أن القيامة قد قامت من هول ما حدث ، وهذا أيضاً يضاف إلى البراهين الساطعة السابقة على أن القوى الكبرى التي تتshedق بمسألة حقوق الإنسان والهجوم على الإرهاب لا تتورع عن ارتكاب أخس وأنذل الوسائل في حماية نزواتها ومصالحها الشخصية .

وكان المجاهدون الأفغان قد أشاروا إلى النقص في الأسلحة بعد هجومهم على جلال آباد في مارس ١٩٨٩ ولكن دون جدوى .

وخلال أيام الانفجار هاجمت المعارضة الباكستانية لحكم ضياء الحق مسألة وضع مثل هذا العدد الهائل من الأسلحة في وسط مدن مزدحمة بالسكان ، ولكن يبدو أن الرئيس الباكستاني كان يريد أن يحمي الأسلحة بالمدنيين ظناً منه أن الأمريكية لن يقوموا بتفجيرها وقتل مثل هذا العدد الهائل من السكان ، ولكن ظنه لم يكن واقعياً ، فقد ضحى الأمريكية بسفيرهم في إسلام آباد مقابل تصفية القادة العسكريين في إسلام آباد أثناء حادث الطائرة في ١٧ أغسطس ١٩٨٨ .

تاتشر ترغب بتجهيز أسلحة حلف الأطلسي إلى الشرق الأوسط

أعلنت مارغريت تاتشر أن الحدود بين الشرق والغرب قد زالت . وأضافت أن الغرب لم يكن في أي فترة أكثر أمناً منه الآن . وبعد ٤٥ سنة يجب أن يتوجه منع قيام الحرب إلى العمل على بناء السلام .

وحذرت في الوقت نفسه- من أن حلف الأطلسي ربما يضطر لتحويل دفاعاته ضد تهديدات جديدة ؛ وبخاصة من الشرق الأوسط .

وهذا يعني تخفيضاً كبيراً في القوات البريطانية المرابطة في ألمانيا الغربية ، وكذلك في عدد الصواريخ النووية . وبدلاً من ذلك الاهتمام الكبير في الجانب العسكري يجب التركيز على الجانب السياسي من عمل الحلف . ولكنها اقتربت أن يرتبط ذلك بقوات تدخل سريع مسلحة بأسلحة متطورة جاهزة للرد على أي تهديد يصدر من أي جهة من العالم . كما قالت: إن العالم يتغير بسرعة تصر عنها طرق تفكيرنا؛ لذلك فإننا بحاجة إلى أن نكون أكثر براعة، وأن نعمل على إقامة مجال أكبر للتعاون .

وحيث تشير هذا جاء قبيل سفرها لمقابلة غورباتشوف حيث من المتوقع أن تجتمع مع القيادة العليا للقوات المسلحة السوفيتية . وأكدت على الحاجة لأن يظل الـ (ناتو) قوياً - كما كان دائماً - وأن في تجربته عناصر سياسية مهمة .

هذه العناصر تتضمن الحفاظ على مبادئ الأمن الجماعي ، واستمرار الحضور الأميركي في أوروبا ، والإبقاء على قواعد صاروخية نووية كافية في أوروبا للاحتفاظ بقوة ردع مطمئنة . وأضافت - تعليقاً على التغيرات الديمقراطية في أوروبا الشرقية - : إن البنية السياسية التي عهدناها تتغير بسرعة ، فالشيوعية تداعت ، ولم يعد أمام حلف الأطلسي حدود سياسية واضحة ، وهذا يثير أسئلة كثيرة لابد لها من أجوبة :

هل ما زال هناك دور للخطط الدفاعية التقليدية؟ أم لابد لنا من إعادة النظر فيها، والاعتماد الأكبر على فعالية الحركة والمرونة وقوات الاحتياط ؟ وهناك سؤال آخر ، وهو ما إذا كان على حلف الأطلسي "أن يفكر ملياً بإمكانية تهديدات لأمننا من جهات أخرى".

وأردفت تقول :

".. لم تمض مدة طويلة على الظروف التي اضطرت الغرب إلى الذهاب إلى الخليج العربي ليضمن استمرار تدفق النفط الذي لا يمكن الاستغناء عنه ، بالإضافة إلى ذلك ؛ ومع انتشار الأسلحة المتطورة والتقنية العسكرية وامتدادها إلى مناطق كالشرق الأوسط فإن ذلك يجعل إمكانية تهديد قادم من خارج أوروبا لأقاليم حلف الأطلسي أمراً لا يستهان به .

وأمام هذا الوضع فإن من الحكمة الاحتفاظ بالقدرة على القيام بأدوار متعددة ، وبقوات قادرة على القيام بمهام مختلفة وبمرونة أكبر . كما يجب على الحلفاء أن يختبروا إمكانية زيادة الدول المشاركة في حلف الأطلسي . أما على المستوى السياسي فقد قالت :

يجب على حلف الأطلسي أن يعمل على تقوية العلاقة مع الولايات المتحدة ، وينتقل إلى نشاطات أخرى مثل نزع السلاح .

عن : ايفننغ ستاندرد ١٩٩٠/٦/٧

تحريض وإثارة ضد الإسلام

مقططفات من مقال افتتاحي في جريدة الصندى تايمز

في ١٩٩٠ / ٦ / ١٠

إن ٦٠ مليون مسلم في الاتحاد السوفييتي ينزعون من أعناقهم نير العبودية المفروض عليهم من قبل روسيا ، وينعطون نحو الإسلام ، الأمر الذي سيمزق الاتحاد السوفييتي ، ويشكل أكبر تهديد لمصالح الغرب قبل نهاية هذا القرن .

وفي الوقت الذي يتناقص فيه التهديد الصادر من حلف وارسو شهراً بعد شهر ؛ إلا أن التهديد الإسلامي سيت ami سنة بعد سنة ، وهذا التهديد مختلف في النوعية والدرجة عن التهديد الذي كان للحرب الباردة ، وعلى الغرب أن يتعلم كيف يحتوي ذلك التهديد، كما تعلم كيف يحتوي الشيوعية . إن جميع الجمهوريات الإسلامية السوفيتية الجنوبية تتطلع بإلحاح إلى الاستقلال ، وسكانها يمثلون ٢٠٪ من سكان الاتحاد السوفيتي ، ومجندوها يمثلون ٣٪ من الجيش السوفيتي . إن الحوادث العرقية التي حدثت في بعض الجمهوريات المسلمة هذه تشير إلى أن موسكو لن تستطيع الاحتفاظ بالوضع كما كان عليه سابقاً ، وإذا ما حاولت فسينجم عن ذلك فوضى عارمة تؤدي إلى حوادث عنف بشكل لم يعهده الاتحاد السوفيتي ، وإن الشيوخ عبّين الروس (الذين ينظرون إلى رفاقهم المسلمين بازدراة) سوف يتطلبون من قادتهم ترك هذه الجمهوريات و شأنها . إن موجة كاسحة من الشعور القومي والديني تجرف المسلمين نحو الاستقلال لينضموا إلى باقي العالم الإسلامي في وقت يرتفع فيه إيقاع التطرف الإسلامي .

إن احتمالات السلام بين العرب وإسرائيل تبدو الآن بعيدة أكثر من أي وقت مضى ، بسبب إصرار الحكومة الإسرائيلية على الاحتفاظ بقطاع غزة والضفة الغربية ، وبسبب تدفق المهاجرين اليهود السوفيت من جديد، وهكذا فإن إسرائيل لن تخشى بعد الآن النمو السكاني العربي داخلها . وعلى الرغم من أن هذا كله لا يعني نشوب الحرب - بسبب فرقة العرب وتشتتهم - فإن اللجوء إلى العنف أمر لا مفر منه في ظل تصلب إسرائيل . والأجنحة المتصلبة من الفلسطينيين في غزة والضفة الغربية ولبنان يعودون للتمسك وبشكل متزايد بالقرآن (!!).

إن الأصوليين اليوم يمثلون أكبر خطر لقيادة ياسر عرفات لمنظمة التحرير، وحتى الكويت المعتدلة رأت من الحكمة إعطاء أغلب معونتها التي وعدت بها الفلسطينيين السنة الماضية والمقدرة بـ ٥٠ مليون جنيه استرليني "لحماس" بدلاً من منظمة التحرير ...

إن على الغرب والاتحاد السوفيتي الإعداد لمواجهة هذا الإسفين الإسلامي الهائل الممتد من شواطئ البحر المتوسط وشمال أفريقيا عبر أواسط آسيا إلى حدود الصين مشتملاً على الجمهوريات الإسلامية السوفيتية التي في طريقها إلى التحرر . نعم ، إن هذا العالم الإسلامي لن يمثل وحدة سياسية أو عسكرية كما كان حلف وارسو مثلاً ؛ ولكنه لن يكون أقل تهديداً وخطراً على مصالح الغرب (...).

إن مهمة الغرب الأولى في أن يدرك مدى وطبيعة التهديد الجديد، ثم البدء بالتخطيط للخطوات الضرورية لحماية المصالح الغربية ، كتطوير إمكانية حلف الأطلسي ل القيام بعمليات عسكرية خارج الساحة الأوروبية - كما اقترحت تائشر أمام وزراء حلف الأطلسي في لقائهم في اسكتلندا - سيكون ضرورياً ، ومع الوضع في الاعتبار أن بعضًا من أخطر الدول الإسلامية ستمتلك قريباً الأسلحة النووية والوسائل لإنتاجها ؛ فإن نوعاً ولو محدوداً من مبادرة ريان الدفاعية - والتي تتضمن القدرة على تدمير صواريخ العدو أثناء انطلاقها - لا تبدو الآن سخيفة كما بدت لمنتقدها في وقتها .

وعلى الغرب أيضاً تربية علاقاته مع أصدقائه في العالم الإسلامي الذين يفضل الكثير منهم التعايش السلمي مع الغرب ، وأن يفهم أعداءه بما لا يقبل الشك ، أن أي تهديد لمصالح الغرب سيواجه بكل تصميم وإن اضطرره إلى استخدام القوة (...).

تعليق المجلة:

إن الموضوعين السابقين يمثلان وجهة نظر الغرب تجاه الإسلام والمسلمين ، والموضوع الأول هو رأي رسمي صادر عن أعلى مؤسسة استراتيجية للحضارة الغربية وهي حلف الأطلسي ، الذي تقتصر تأثيره - وهي من مهندسي خططه - أن يظل حذراً من التحركات الإسلامية ، التي لا تذكرها بالاسم ، بل بالإشارة إلى المنطقة - على عادة الانكليز بتسمية الأسماء بغير أسمائها الحقيقة - وأن لا يتزدّد في التدخل العسكري في أي مكان من العالم ، للقضاء على أي تهديد متوقع . وأبسط ما يقال في هذه النظرة أنها تعتبر العالم كله مجالاً حيوياً خالق لخدمة الحضارة الأوروبية ، فأي عنصرية أكبر من هذه العنصرية ، وأي استهانة بالشعوب الأخرى أشد من هذه الاستهانة !

أما الموضوع الثاني فيعتبر كشرح وكحاشية لإشارة تأثير ، ويبين مبررات الطبيعة العدائية الكامنة في الفكر الغربي ، والتعصب والشوفينية والاستعلاء ضد جميع المسلمين في شتى بقاع العالم. وهذا واضح من الضيق والضجر الذي يشعر به هؤلاء الغربيون عندما يفكرون المسلمين ولو مجرد تفكير في نزع الظلم المفروض عليهم ، وحتى لو أن مناخاً عاماً واعداً بإزالة ظلم مخيم يعم الناس : مسلّهم ومسيحيّهم وبوديّهم ولحدّهم فإن هذا المناخ ينبغي أن يقتصر على غير المسلمين ، ويستثنى المسلمين من نعمة تأثيره ، لا شيء إلا لأنهم مسلمون لا يستحقون جدار العيش أحراضاً.

إن كاتب المقال الثاني الذي لم تذكر الصحيفة اسمه (وقد يكون يهودياً أو مؤيداً للصهيونية بشدة) تغيّر المساعدات التي تقدم من بعض العرب إلى إخوتهم في فلسطين ويضيف ذرّعاً بذلك ، ويتناسى ويتجاهل المبالغ التي لاحصر لها التي قدمت ولا تزال تقدم إلى المنظمات الصهيونية، وكذلك المساعدات الهائلة التي تقدمها الولايات المتحدة ودول أوروبا للدولة اليهودية والتي لولاها لما كتب لها الحياة .

إن الفقريتين المقتبستين نموذج لهذه الحملة المسعورة على المسلمين كلما بدت في الأفق بوادر يشم منها عودة المسلمين إلى دينهم .

المسلمون والمتغيرات الدولية

لما زالت أحداث أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي والحديث عن الوحدة الأوروبية وما رافق ذلك من متغيرات ومفاجآت، لا زالت تتواتي ولم تتوقف بعد ، وأخر أنبائها دعوة الرئيس الأمريكي لغورباتشوف أن يحضر اجتماعات حلف الأطلسي بصفة(مراقب)، واقتراح (بوش) أن لا يكون حلف الأطلسي حلفاً عدوانياً، بل إن بعض دول حلف وارسو تقدمت بطلب للانضمام إلى حلف الأطلسي، واليونان تتحدث عن الجيش الأوروبي الموحد (الشرق الأوسط ١٨ / ٧ / ١٩٩٠) وألمانيا الشرقية تطالب بانسحاب القوات السوفياتية، أما عن أوروبا الغربية فخطوات توحيد النقد والانفتاح الاقتصادي سائرة كما يخطط لها .

هذه التطورات وإن فاجأت بتسارعها مثل هنري كيسنجر (الشرق الأوسط ١٥ / ٧ / ١٩٩٠) فإن الغرب لم يكن بعيداً عنها، أعني في تصعيده للأحداث، والنية المبيتة في تفكيرك الإمبراطورية الروسية.

إن ألمانيا الغربية تدفع آلاف الملايين إلى مواطني الشرقية حتى ترفع مستواهم الاقتصادي تمهدًا للوحدة الكاملة، وسواء توحدت أوروبا في القريب العاجل أم أن ذلك سيتم بخطوات وئيدة وليس من

الضروري أن تكون وحدة كاملة . فمما لاشك فيه أن أوربا استراحت من هاجس الخوف الذي كان يمثله الاتحاد السوفييتي والدول التابعة له ومعنى هذا أنها ستترغ لأمور أخرى ، ومن أهمها موقفها من العالم الإسلامي والهيمنة الاقتصادية ، فإن اليابان رغم أنه يشكل كتلة اقتصادية ولكنه لا يشكل تحدياً حضارياً فلم يبق إلا العالم الإسلامي وبعض دول آسيا وأفريقيا لإثبات الهيمنة الاقتصادية ، وهذه لابد لها من هيمنة فكرية ، تتمثل بإبعاد الإسلام عن أن يكون هو المؤثر والفعال في حياة الناس ، وهذه النوايا لا يكتملها الغرب ، بل يصرح بها علناً ويقول : إن الخطر القادم هو الإسلام ، كما صرخ بذلك وزير فرنسي سابق . هذه الحقيقة جعلت بعض السياسيين العرب يعترف بها كما جاء في مقابلة أجرتها (الوطن العربي) بتاريخ ٢٢/٦/١٩٩٠ مع الأستاذ طاهر المصري وزير الخارجية الأردنية السابق ، قال :

"... وهذا التفكير الإسرائيلي سوف يتزامن مع بحث الدول الغربية عن عدو جديد لهم بعد انهيار العدو الشيوعي ، هذا العدو هو العالم الإسلامي" .

وأقرب جزء من العالم الإسلامي لأوربا هو العالم العربي الذي تبدي الصحف الغربية اهتماماً زائداً به وهذا الاهتمام راجع للأسباب التالية :

١ - هذه المنطقة تمثل قلب العالم الإسلامي فإذا نهضت شعوبها وتوحدت فسيكون لها أكبر الأثر على الشعوب الإسلامية المجاورة .

٢ - يخشى الغرب من الإسلام السنوي والذي تعتنقه أكثرية الشعوب العربية . والغرب يعلم الفرق بين السنوي وغيره ، ويعلم بالتفصيل تاريخ أهل السنة مع أعداء الإسلام ، وأن الذي دافع عن الإسلام قديماً (في الحروب الصليبية) وفي العصر الحديث هم أهل السنة .

٣ - قرب العالم العربي وخاصة الشمال الأفريقي من أوربا (١)، وإن النمو السكاني المتزايد في هذه البلدان يقلق أوربا جداً وهنا قد يقول قائل : كيف يخشى الغربيون من شعوب هذه المنطقة وهي على ما نعرف الآن من الضعف الاقتصادي والحضاري بشكل عام ، والجواب أن الغرب لا يفكر في الحاضر بل هو دائمًا التخطيط للمستقبل وحكم الغرب يعلمون أن شعوبهم في انحدار أخلاقي وما يتبع ذلك من أمراض جسمية ونفسية، وإذا كان الغرب يتطلع إلى وحدة ١٩٩٢ فإن الوضع في المنطقة العربية كأنه لا يريد التحرك لمواجهة هذه التحديات ، فكما يقول أحد الكتاب : الغني يرسف في غناه ، والفقير يرسف في فقره ، وأصحاب كثرة السكان يعانون من الكثرة ، وأصحاب قلة السكان يعانون من القلة . ونحن نقول : قبل هذا وذاك لا يزال العلمانيون أصحاب المناهج المختلفة ماضين في عنادهم ويحاولون بشتى الوسائل منع الإسلام من العودة، الإسلام الذي من خلاله تتأكد شخصية الأمة ، ويتم بناء الحضارة المتميزة ، ومن خلاله تتوحد الشعوب الإسلامية في وجه الهيمنة الفكرية والاقتصادية .

الهوامش:

- ١- انظر ما كتبة جميل مطر حول أوربا والتحديات الستة في جريدة الحياة ١٣/٧/١٩٩٠ وما كتبه د. عصام نعمان في الشرق الأوسط ٢٥/٤/١٩٩٠ .

نشرت صحيفة (القدس العربي) بتاريخ ١٩٩٠/٦/٢٦ مقابلة مع المحجوبي أحرضان وهو سياسي مغربي وعضو في المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان الذي شكلته الحكومة وعندما سأله مندوب الصحيفة عن (اتحاد المغرب العربي) أجاب على الفور : اتحاد المغرب الكبير ، وعندما أعاد عليه أن الاتحاد اسمه اتحاد المغرب العربي قال : "مازلنا لم نقبل بأن يكون عربياً ..، ثم أردف هناك اتصالات مع القبائل في الجزائر ، ولكن من أجل الخير.

- قال مندوب الصحيفة : ولكن هذا يمزق المغرب العربي .

- أجاب أحرضان : بلا شك ستفعلها .. لأننا نريد المحافظة على لغتنا (البربرية) وعاداتنا .. لماذا تريدون ترك (الأمازيغية) .

- لم تصدروا أي صحيفة بالأمازيغية .

- أصدروا مجلة ومنعوها .

- لماذا ؟

- قالت في إحدى أعدادها : الاستعمار العربي في المغرب فمنعوها ..

- استعمار عربي ياسي أحرضان !!

تعليق :

ليس هناك مسلم يعقل الإسلام يثيرها نعرة عنصرية ، وإنما يضع نصب عينيه : ((يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا)) فهناك شعوب وأجناس كلها ترجع في النهاية إلى أب واحد ، وعندما ينعم الله على شعب بأن يهديه إلى الإسلام تصبح اللغة العربية إن لم نقل هي الوحيدة فهي الأولى لأنها لغة دينه ، قرآن وسنته ، ويعتز بها ويعلمها أولاده ، بل هي واجبة عليه ، ونحن نعيذ أي مسلم بربري أو كردي أو هندي أن يأنف من الانتساب لهذه اللغة لأنها بنظره ذوبان في (العرب) بهذه شعوبية لاشك في ذلك ، وإذا كانت النعرة القومية التي أفسدت الحياة العربية وجدت لها صدى عند بعض العرب وخاصة عرب المشرق ، فقد كان هذا خطأ عولج به خطأ قبله وهو سياسة التتريريك التي اتبعها العثمانيون في آخر أيامهم فأثاروا عليهم أصحاب القوميات الأخرى مما استغله أعداؤهم الغربيون وكان سبباً في هزيمة الدولة العثمانية ثم انهيارها أخيراً.

ونحن - المسلمين اليوم - يجب أن نقرأ التاريخ ونستفيد من عبره ودروسه ونلقي عن سياسة التشنج وعلاج الداء بالداء ، ونرجع إلى الدين الذي يجمعنا كلنا، أجنساً مختلفة، واللغة العربية لها محل الأول، وتراجع الشعوب التي أسلمت عن اللغة العربية وعودتها إلى لغاتها المحلية خطأ يجب أن يصح بالعودة شيئاً فشيئاً إلى اللغة التي اختارها الله لكتابه ، وإننا نعيذ القبائل في الجزائر ، والمغرب أن تستجيب لمثل هذه النعرات ، ولمثل هذه الأحقاد، وليرعدوا بالشيخ ابن باديس -رحمه الله- الذي يرجع نسبه إلى عائلة من كبرى العائلات القبائلية الأمازيغية ولكنه كان من أشد الناس تحمساً لنشر اللغة العربية، لأنها لغة ديننا وقد شرق شعره وغرب وهو الذي يقول فيه :

شعب الجزائر مسلم وإلىعروبة ينتسب

وما يقال عن الإخوة في المغرب والجزائر يقال للأخوة الأكراد وغيرهم ، إن الحل هو الإسلام واللغة العربية وليس إحياء اللغات المحلية ، والعادات القديمة و (النحافظ على شخصيتنا) كما يقال لهم : نعم الإسلام لا يغير من طبيعة الإنسان وخصائصه ، التي لا تتعارض مع مبادئه الأساسية ، فكل شعب خصائص وعادات ، ولكن الذين يرفعون هذه الشعارات إما قوميون يكرهون العرب

(جنس العرب) وإنما مخدوعون بهذه الشعارات أو ردًا على ما يرفعه العرب من شعارات قومية . من المؤسف أن دول أوربا وشعوبها تتجه نحو الوحدة، بينما نحن نعيدها قبلية جاهلية منتهة .

- ٢ -

في معرض متابعة الأحداث العالمية وما جرى ويجري فيها من تغيير أذله الجميع وكيف تغيرت خارطة العالم السياسية من صراع بين الشرق والغرب وبينهما (العالم الثالث) إلى انقسام العالم إلى شمال وجنوب ، فالدول الصناعية والدول الأوربية بما فيها روسيا تحاول التقارب والاتحاد ، ويبقى العالم الآخر هو عالم الجنوب بما فيه (العالم الإسلامي).

كيف ينظر بعض كتاب العرب المشهورين إلى هذه المتغيرات، يبدو أنهم لا يريدون الاعتراف بالهزيمة، وأن اليسار كله قد انهزم ، فالحنين إلى العلاقات (العربية - السوفيتية) لا يزال يراود أحالمهم ، مع أن روسيا تقول بواقع الحال : لا ترجوني أمام الغرب . فأنا في سجل عنكم الآن.

كتب الدكتور محمد عابد الجابري في الصفحة الأخيرة من (اليوم السابع) ٩٠/٦/٢٥ : " هل نحكم على العلاقات العربية السوفيتية بالذوبان في بحر علاقات (الشمال) بـ (الجنوب) ، إن هذا المشهد البسيط والمخيف يقوم على اختزال أشياء كثيرة ، وإغفال معطيات هامة إن نحن أخذناها بعين الاعتبار وجدنا أنفسنا أمام مجال لتطوير العلاقات العربية - السوفيتية .

أما قسطنطين زريق فيدعوه في مقال له في (الحياة) ٩٠/٧/٦ إلى الاستفادة من النواحي الإيجابية للعقيدة الشيوعية ، وأن الرؤية الشيوعية فيها من الشمولية ، ومبدأ المساواة ضمن المجتمع الواحد ، وأن ما وقع في الاتحاد السوفييتي ما هو إلا قصور في التطبيق والأخذ بجانب وإهمال الجوانب الأخرى .

ويدعوه في نهاية المقال إلى "الاستفادة من خبرة الاتحاد السوفييتي وخاصة في مجال التاريخ الإنساني الشامل" .

لاشك أنها حشرجة الموت عند هؤلاء الذين يدعوننا للاستفادة من خبرة روسيا ، وهي التي تريد إزاحة كل هذه التركة الثقيلة عن كاهلها ، ولا نقول هذا الكلام لحساب الرأسمالية الغربية فهي أيضًا الوجه الآخر للمادية الأوربية الاستعمارية ، ولكنها تحمل بعض عناصر البقاء والمقاومة أكثر من الشيوعية .

مساكين هؤلاء الكتاب (وأمثالهم كثير) إنهم لا يملكون الشجاعة للاعتراف بالحق ، إنهم يراوغون ويدورون حول مفاهيمهم السابقة ، ونحن نقول لهم ليس هناك حق إلا الإسلام .

ركن الأسرة كلمة الصفحة

**هدى محمد سميح
أختي المسلمة :**

لاشك أنك تحبين الاجتماع بإخوانك المسلمين والتحدث إليهن ومؤانستهن ، وخاصة إذا كنتن في ديار الغربة، ولابد أنك تلتقين بكثير منهن من أجناس وخلفيات متعددة في المساجد والمراکز

الإسلامية، فعليك أن تعطي انطباعاً حسناً للآخريات عن شخصيتك وأن يكون أثر التربية الإسلامية والخلق الإسلامي ظاهراً في هذه الشخصية .

إن أول مدخل إلى قلوب الناس هو لسانك ، أي طريقة حديثك إلى الآخريات ، فكوني شديدة الحذر في استعمال هذه القطعة من الجسم ، فربما تلقين بكلمة - لا تلقين لها بالاً ولا تقصدين بها سوءاً - ويكون لها أثر سيئ ومنفر ، ويتناهى الناس بعدها مجالستك ومحادثتك .

إن اللياقة في الحديث وحسن العشرة مع الآخريات من أخلاق المسلم التي يجب أن تصرف إلىها كثيراً من الاهتمام .

خمسة للأمهات

إذا أخطأ طفلك وعندك بعض الضيوف أو الحضور فلا تحاولي نهره وتوبيقه - فضلاً عن ضربه - أمام ضيوفك . إن هذا السلوك غير حكيم من ناحيتين :
١ - فهو قد يوحي للضيوف أو الحضور أنك ضائقة بهم وبزيارتهم ، وتحاولين التعبير عن ذلك بعقوبة الطفل .

٢ - ومن جهة أخرى فهو ضار بسلوك الطفل، وله مردود عكسي لا يحقق الغرض من العقوبة وهو التأديب .

والتصرف الأمثل في مثل هذه الحالة إما تأجيل العقاب إلى وقت آخر، أو الانفراج بالطفل وإفهمه خطأه وتأنيه بعيداً عن ملاحظة الآخرين.

اعتقادات خاطئة حول التغذية

١ - أكل السمك وشرب الحليب أو اللبن مضر بالصحة وقد يسبب الوفاة !
هذا اعتقاد خاطئ ، وسبب شيوخه أن الحليب والسمك من الأطعمة الحساسة السريعة الفساد ويكثر التسمم عن طريقها ، أما مجرد الربط بين هذين النوعين من الطعام وأنه مضر فلا دليل علمي صحيح عليه .

٢ - عصير الطماطم (البندورة) والعنب الأحمر يزيد في الدم !
غير صحيح وليس مجرد تشابه لونهما مع لون الدم يعطيهما هذه الخاصية ، حيث إن من مكونات الدم البروتين وال الحديد .

تمثل العقائد في الطفولة

خولة درويش

لاشك أن تأسيس العقيدة السليمة منذ الصغر أمر بالغ الأهمية في منهج التربية الإسلامية ، وأمر بالغ السهولة كذلك (١).

ولذلك اهتم الإسلام بتربية الأطفال على عقيدة التوحيد منذ نعومة أظفارهم ، ومن هنا جاء استحباب التأذين في أذن المولود ، وسر التأذين - والله أعلم - أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة لكرياء رب وعظمته ، والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام ، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند مجئه إلى الدنيا ، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها (٢).

ومن ثم يتولى المربى رعاية هذه النبتة الغضة ، لئلا يفسد فطرتها خبيث المؤثرات ، ولا يهمل تعليمه العقيدة الصحيحة بالحكمة والموعظة الحسنة، لأن العقيدة غذاء ضروري للروح كضرورة الطعام للأجسام ، والقلب وعاء تناسب إليه العقائد من غير شعور صاحبه، فإذا ترك الطفل وشأنه كان عرضة لاعتناق العقائد الباطلة والأوهام الضارة ، وهذا يقتضينا أن نختار له من العقائد الصحيحة ما يلائم عقله ويسهل عليه إدراكه وتقبله ، وكلما نما عقله وقوى إدراكه غذيناه بما يلائمه بالأدلة السهلة المناسبة وبذلك يشب على العقائد الصحيحة، ويكون له منها عند بلوغه ذخر يحول بينه وبين جموح الفكر والتردي في مهابي الضلال (٣).

أما إن أخطأ المرءون في تعرف اهتمامات الطفل الدينية فقدموه تفسيرات دينية غير ملائمة ، فحينئذ "إما أن ينبذها كما ينبذ أية فكرة لا تنسق مع تكوينه النفسي المتكامل وإما أن يتقبلها على مضض مجاملة للأهل ، وضماناً لاستمرار عطفهم ، ولكنه قبل مؤقت يخفي معارضة مكبوتة (٤)." فالإجابة السليمة الوعائية على تساؤلات الأطفال الدينية، بما يتناسب مع سنهم ومستوى إدراكمه وفهمهم أمر ضروري ، مع الاعتدال في التربية الدينية لهم ، وعدم تحميлем مala طاقة لهم به... وكذا عدم اهتمامهم بحجة أنهم صغار لا يفهمون ، كما يظن البعض ، فهذا رسولنا الكريم قد تعهد أصحابه ، حتى الأطفال منهم فغرس في نفوسهم أسس العقيدة ، قال معلماً لابن عباس -رضي الله عنه- : «يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فاسأله الله ، وإذا استعن فاستعن بالله» (٥) .

بمثل هذه التوجيهات الحكيمية نستطيع أن نحسن عقائد أبنائنا ، وفي كل تصرف من تصرفات المربى وكل كلمة من كلماته يرافق ربها ، ويحاسب نفسه لئلا تفوته الحكمة والموعظة الحسنة، وحتى لا توقع أخطاء التربية أبناءنا في متأهات المبادئ ، يت�بطون بين اللهو والتفاهة، إلى الشطط والغلو ، كل ذلك عند البعد عن التربية الحكيمية المتوازنة التي تسير على هدي تعاليم الإسلام الحنيف

جوانب البناء العقدي عند الطفل المسلم :

أ- الإيمان بالله - جل وعلا - :

إن أهم واجبات المربى ، حماية الفطرة من الانحراف ، وصيانة العقيدة من الشرك ، لذا نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن تعليق التمام تعويضاً للصغير الاعتماد على الله وحده : "من علق تميمة فلا أتم الله له" (٦).

وإذا عرفنا أن وضع التميمة والاعتقاد فيها شرك ، جنبنا أطفالنا هذا الشرك ، وبعد ذلك يوجه المربى جهده نحو غرس عقيدة الإيمان بالله في نفس الصغير فهذه أم سليم الرميصاء أم أنس بن مالك خادم الرسول - صلى الله عليه وسلم - ورضي الله عنهم أجمعين أسلمت وكان أنس صغيراً ، لم يفطم بعد، فجعلت تلقن أنساً قل : لا إله إلا الله ، قل أشهد أن لا إله إلا الله ، فعل ، فيقول لها أبوه : لا تفسدي على ابني فتقول : إني لا أفسد (٧).

كان أبوه ما يزال مشركاً ، يعتبر أن التلفظ بعقيدة التوحيد، والنطق بالشهادتين إفساداً لطفله ، تماماً كما يرى كثير من الملاحدة ، أصحاب المذاهب الهدامة ، والطواويث في الأرض ، في هذا العصر يرون أن غرس الإيمان وعقيدة التوحيد ، إفساد للناشئة ، وإبعاد لهم عن التقديمة كما يزعمون

يُتَعْرِفُ الطَّفَلُ أَنَّهُ مُسْلِمٌ ، وَأَنَّ دِينَهُ الْإِسْلَامُ وَهُوَ الدِّينُ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ لَهُ وَلَا يَقْبَلُ مِنْ عَبَادِهِ سُوَادٌ ،
وَالْتَّرْكِيزُ فِي التَّرْبِيَةِ عَلَى مَا وَصَفَهَا أَبْنَ تِيمِيَّةَ - رَحْمَهُ اللَّهُ - (مَحْبَةُ الْعَامَةِ وَهِيَ مَحْبَةُ اللَّهِ تَعَالَى لِأَجْلِ
إِحْسَانِهِ لِعَبَادِهِ ، وَهَذِهِ الْمَحْبَةُ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ لَا يَنْكِرُهَا أَحَدٌ فَإِنَّ الْقُلُوبَ مُجْبَلَةٌ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ
إِلَيْهَا" (٨)).

فَاللَّهُ تَعَالَى أَعْطَانَا الْعَيْنَيْنِ وَالطَّعَامَ الَّذِي ، وَكُلُّ مَا يُحِبُّهُ هَذَا الصَّغِيرُ فَلَا يَمْلِكُ صَغِيرَنَا إِلَّا أَنْ يَنْشأَ
عَلَى مَحْبَةِ خَالِقِهِ جَلَّ وَعَلَا - .

وَيَبْتَعِدُ الْمَرْبِيُّ عَنْ تَلْقِينِ الْأَطْفَالِ اسْمَ اللَّهِ مِنْ خَلَالِ الْأَحْدَاثِ الْأَلِيمَةِ ، لِأَنَّ لِلْخَبَرَاتِ الْأَلِيمَةِ أَثْرُهَا
فِي تَشْكِيكِ الْمُؤْمِنِ فِي عَقَائِدِهِ وَانْحِيَازِهِ إِلَى النَّزَعَةِ الْلَّادِينِيَّةِ" (٩).
وَمِنَ الْأَحْدَاثِ الْأَلِيمَةِ عِنْدَ الطَّفَلِ مَثُلاً أَنْ نَقْرَنَ لَهُ وِلَادَةَ الطَّفَلِ بِشَقِّ بَطْنِ أُمِّهِ مَثُلاً.. "فَيَتَصَوَّرُ أَنَّ
فَعْلَ الْمِيلَادِ أَمْرٌ بَشُّعٌ ، وَحَيْثُ أَنْ مُولَدُ طَفْلٍ جَدِيدٍ يُثِيرُ فَلْقَهُ.. فَمِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ تَكُونَ أَوْلَى خَبَرَاتِ
الْطَّفَلِ بِاللَّهِ خَبَرَاتِ الْأَلِيمَةِ" (٩).

لَذَا ، يَنْبَغِي أَنْ نَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ أَمَامَ الطَّفَلِ مِنْ خَلَالِ مَوَاقِفِ مَحْبَةِ سَارَةَ ، فَالْطَّفَلُ مَثُلاً قَدْ يَسْتَوِعُ
حَرْكَةُ السَّبَابِيَّةِ عِنْدَ ذِكْرِ كَلْمَةِ الشَّهَادَتَيْنِ ، يَتَلَفَّظُ بِهَا الْكَبِيرُ أَمَامَهُ ، الْأُمُّ أَمُّ الْأَبِ أَوْ أَحَدُ الْأَخْوَةِ
الْكَبَارُ ، وَذَلِكَ مِنْذُ الشَّهْرِ الرَّابِعِ مِنْ عُمْرِهِ ، فَإِذَا بَهُ يَرْفَعُ اصْبَعَهُ مَقْدِلًا الْكَبَارِ.
كَمْ هِيَ حَرْكَةُ لَطِيفَةٍ وَمَحْبَةُ عِنْدِ الْأَهْلِ الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ إِزَاءِهَا إِلَّا ضَمَّ صَغِيرَهُمْ وَتَشْجِيعَهُ وَهُوَ يَشِيرُ
بِأَصْبَعِهِ عِنْدَ ذِكْرِ اسْمِ اللَّهِ... فَيَرْسُخُ اسْمَ اللَّهِ فِي نَفْسِهِ بِمَحْبَةٍ عَارِمَةٍ مِنْ وَالْدِيَهُ وَيَغْرِسُ حُبَّ اللَّهِ فِي
قَلْبِهِ..

وَإِذَا نَمَا صَغِيرَنَا وَتَرَعَّرَ نَلْفَتُ نَظَرُهُ إِلَى مَظَاهِرِ قُدرَةِ اللَّهِ وَنَعْمَهُ الَّتِي لَا تَحْصَى : إِذَا نَظَرَ فِي
الْمَرْأَةِ نَقْوِلُ لَهُ مَعْلَمِينَ قَلَ : "اللَّهُمَّ كَمَا حَسَنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خَلْقِي" (١٠).

وَإِنْ لَبِسَ الْجَدِيدَ حَمْدُ اللَّهِ عَلَى نَعْمَهُ وَكَذَا إِنْ أَكَلَ أَوْ شَرَبَ قَالَ : "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا
وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ" (١١).

وَهَذَا ، فَيَعْرِفُ نَعْمَةَ اللَّهِ وَيَعْتَادُ شَكْرَهُ ، مَعَ لَفْتِ النَّظَرِ إِلَى مَظَاهِرِ قُدرَةِ اللَّهِ وَنَعْمَهُ الَّتِي لَا تَحْصَى..
كُلُّ ذَلِكَ بِاسْلُوبِ رَفِيقٍ وَلِهَجَةِ رَقِيقَةٍ مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ فِي عَرْضِ الْفَكْرَةِ وَلَا غَلُو فِيهَا ، وَإِنَّمَا بِطَرِيقَةِ
مَحْبَةِ تَنَاسُبِ الْطَّفُولَةِ فَتَتَمَشِّي مَعَهَا .

"وَلَا يَجُوزُ لِلْمَرْبِيِّ أَنْ يَتَكَئَّنَ عَلَى خَطِّ الْخُوفِ حَتَّى يَرْعَبَ الطَّفَلَ بِغَيْرِ مَوْجِبٍ بِكُثْرَةِ الْحَدِيثِ عَنْ
غَضْبِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ . وَالنَّارَ وَبِشَاعِتِهَا .. إِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ نَبْدأَ بِالْتَّرْغِيبِ لَا بِالْتَّرْهِيبِ حَتَّى يَتَعَلَّقَ قَلْبُ
الْطَّفَلِ بِاللَّهِ مِنْ خَيْطِ الرِّجَاءِ أَوْلًا فَهُوَ أَحَوْجُ فِي صَغْرِهِ إِلَى الْحُبِّ" (١٢).

عَلَيْنَا أَنْ نَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَنَحْنُ نَسْتَشْعُرُ عَنْيَةَ اللَّهِ بِالْإِنْسَانِ وَتَكْرِيمَهُ لَهُ "حَيْثُ سَخَرَ
لَهُ مَا فِي سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ ، وَمَا بَيْنَهُمَا حَتَّى مَلَائِكَتَهُ.. جَعَلَهُمْ حَفْظَةً لَهُ فِي مَنَامِهِ وَيَقْنَطَهُ وَأَنْزَلَ إِلَيْهِ
وَعَلَيْهِ كَتَبَهُ.. فَلِإِنْسَانٍ شَأنَ لَيْسَ لِسَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ" (١٣).

هَذَا فَضْلًا عَنْ فَائِدَةِ أَخْرَى :

"إِنَّ الْاعْتِقَادَ بِكَرَامَةِ الْإِنْسَانِ عَلَى اللَّهِ ، يَرْفَعُ مِنْ اعْتِبَارِهِ فِي نَظَرِ نَفْسِهِ ، وَيَثْبِرُ فِي ضَمِيرِهِ الْحَيَاءَ
مِنَ التَّدْنِيِّ عَنِ الْمَرْتَبَةِ الَّتِي رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهَا.. وَنَظَافَةُ الْمَشَاعِرِ تَجْيِءُ نَتْيَةً مُبَاشِرَةً لِلشَّعُورِ بِكَرَامَةِ
الْإِنْسَانِ عَلَى اللَّهِ ثُمَّ بِرْقَابَةِ اللَّهِ عَلَى الْضَّمَائِرِ وَاطْلَاعَهُ عَلَى السَّرَّائِرِ" (١٤).

وَهَذَا نَنْمِيُّ عِنْدَ الْأَطْفَالِ الشَّعُورَ الْدِينِيِّ الْقَائِمِ عَلَى حُبِّ اللَّهِ حَيْثُ نَرْكَزُ عَلَى مَعَانِي الْحُبُّ وَالرَّجَاءِ
وَمَظَاهِرِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى الْوَاسِعَةِ بِالنَّاسِ . كَمَا نَرْوُضُ الطَّفَلَ عَلَى مَحْبَةِ اللَّهِ وَاحْتِرَامِ أَمْرِ اللَّهِ ،
وَارْتِبَاطِهِ بِأَحْكَامِ دِينِ اللَّهِ ، إِذَا بَهُ شَابٌ نَشِأَ فِي رَضْوَانِ اللَّهِ لَا يَعْرِفُ غَيْرَ الْإِسْلَامَ شَرْعَةً وَمِنْهَاجًا.

شعره أن الله يحبنا فلا يكلف نفساً إلا وسعها ، وإذا أمرنا بشيء فالواجب أن نأتي منه ما نستطيع أما الحرام فلا نقربه مطلقاً.. فإن الله تعالى يحب المطاعين له ولا يحب الكافرين : ((قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ)) [آل عمران: ٣٢].

ويردد المبدأ على مسمع الأطفال .. ويغرس في قلوبهم فتتمو في نفوسهم مشاعر الأخوة الإيمانية والرابطة الإسلامية، والمفاصلة مع أعداء دين الله الكافرين به وهذا مطلب تربوي هام وديني قبل كل شيء .

((قُدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لَقَوْمَهُمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبْدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ)) [المتحنة: ٦٠]. ولن تخيب نفس الهمت رشدها ، فسارت على هدي رسولنا الكريم ، في تربية النشاء ، ليعينها رصيد الفطرة المركوز بها ، تستشفه من خلال إشارات طفلها إلى علو الله ، ومن كلماته في الرضى والغضب والتي يبين فيها أن الله تعالى منصف للمظلومين ، وليس أفضل من كتاب الله يذكرنا بوصية لقمان لابنه : " وإنها لعظة غير متهمة فما يريد الوالد لولده إلا الخير وما يكون الوالد لولده إلا ناصحاً " ((يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَصَنَّيْنَا إِلَنْسَانَ بِوَالَّدِيهِ حَمَلْتُهُ أُمُّهُ وَهُنَّا عَلَى وَهُنَّ وَفِصَالَهُ فِي عَامَيْنِ أَن اشْكُرْ لِي وَلِوَالَّدِيهِ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاثْبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَنْبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَيْرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)) [لقمان: ١٣-١٩].

الهوامش :

- ١- منهاج التربية الإسلامية : محمد قطب ١٦٤/٢ .
- ٢- تحفة المودود : ابن القيم ٢٢/ .
- ٣- لمحات في وسائل التربية الإسلامية : د. محمد أمين المصري / ١٤٠ .
- ٤- تطور الشعور الديني عند الطفل : المليجي ١٧٥/ .
- ٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢٩٣/١ .
- ٦- رواه أحمد ١٥٤/٤ .
- ٧- سير أعلام النبلاء ٣٠٥/٢ .
- ٨- الفتاوى ٨٤/١٠ .
- ٩- تطور الشعور الديني ص ١٧٥ ، ص ٦١ .
- ١٠- حديث صحيح رواه الإمام أحمد عن ابن مسعود ، صحيح الجامع الصغير ٢٨٠/١ .
- ١١- رواه الترمذى وأبو داود وابن ماجه وقال عنه الحافظ ابن حجر بعد أن أخرجه من طريق الإمام أحمد : هذا حديث حسن (شرح السنة ٢٧٩/١)
- ١٢- منهاج التربية الإسلامية ١٦٤/٢ .
- ١٣- مدارج السالكين ٢٣٤/١ .
- ١٤- في ظلال القرآن ٣٩٦٥/٦ .

باقلام القراء شبة

نوال - من المدينة النبوية

ذَرَّ قرنٌ شبه كثيرة ملأت على المسلمين سمعهم وأبصارهم، وحرّجت على الكثير سعة الملة، وعتمت وضوح المحجة ، ومن هذه الشبه ، مقوله : إن تبيان المنهج السليم من وجوب اتباع الكتاب والسنة، وطلب للدليل ، وتنقية للعقيدة من الزغل والزيغ، والشريعة من البدع والشين، مما يغرق الأمة، ويضلّ العامة، ويلبس عليهم دينهم فيعمهمون ، وهذا شغل للمسلمين عن كبير الأمور بصغرها ، وعن لب الدين بقشره ، وعن عظيم الأمور بسخيفها فالعدو قد استباح بيضة المسلمين ، وتداعى عليهم كما تداعى الأكلة إلى قصعتهم ، فلن جانب هذه الأمور حتى يتم لنا الظفر على العدو !!

ولهؤلاء نقول: لقد جعل الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم - خاتم الأنبياء والمرسلين ، وجعل رسالته الناسخة لما قبلها، ودعوته هي المهيمنة على ما قبلها من الدعوات النبوية، وهذه الدعوة لابد أن تبقى في الأرض لتكون حجة الله على خلقه ، وهذه الحجة لابد أن تكون برهاناً فاصلاً ولابد أن تكون بيضاء نقية كما أنزلها الله تعالى على رسوله الكريم ، وكما جاء بها الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، ليهتدي بها الناس - اليوم - كما اهتدوا بها من قبل، ولا يزيف عنها بعده - صلى الله عليه وسلم - إلا هالك .

ومن مقتضى حكمة الله تعالى ورحمته - والحالة هذه من انقطاع للوحي فلا رسالة جديدة ولا رسول جديد بعده - صلى الله عليه وسلم - يوضح للناس الدين الحق بعد انتشاره - أن يقيض لهذه الأمة من العلماء الربانيين من يبين البدع ويكشف عوارها، ويدحر أهل الشرك والخرافة ، فيستمر الدين صافياً نقياً .

وهذا من تمام مدلول قوله تعالى : ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)).

الجماعة الأولى

محمد مدادي - الجزائر

إن ما نعانيه اليوم من اضطراب وفوضى في فهم الدين الذي أدى بدوره إلى الفرقـة والاختلاف إنما سببه عدم معرفة قواعد الحق وسبيل النجـاة ، قال تعالى: ((وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعُ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُولَّهُ مَا تَوَلَّ)) [النساء: ١١٥] ، فهذه حـجة دامـحة وبيان واضح بوجـوب اتـباع سـبيل المؤـمنـين الذين كانوا عند نـزول هـذه الآـية هـم الصـحـابة ، فـهم الحـكـمـ الفـصلـ في مواضـيع العـقـيدةـ من الإـيمـانـ وـالـتوـحـيدـ وـالـغـيـبيـاتـ ، وـهم الضـابـطـ في المـنهـاجـ وـالـسـبـيلـ وـعـلـىـ كلـ جـمـاعـةـ أو طـائـفةـ تـعـلـمـ لـصـالـحـ إـلـاسـلـامـ أـنـ يـكـونـ وـلـأـؤـهـاـ التـامـ لـالـجـمـاعـةـ الـأـمـ ، وـهمـ الصـحـابةـ وـالـسـلـفـ الصـالـحـ ، لـأنـ مـنـ أـبـرـزـ الصـفـاتـ لـالـجـمـاعـةـ النـاجـيـةـ الـاستـمـارـيـةـ ، قـالـ تـعـالـىـ: ((وـالـسـابـقـونـ الـأـوـلـوـنـ)) إـشـارـةـ إـلـىـ تـارـيخـ بدـءـ هـذـهـ الجـمـاعـةـ ، وـقـولـهـ تـعـالـىـ: ((وـالـذـيـنـ اـتـبـعـوـهـ)) إـشـارـةـ إـلـىـ استـمـارـيـةـ ذـلـكـ الـوـجـودـ بـشـرـطـ الـاتـبـاعـ .

ولهذا فإن أي طائفة تقر أنها تأسست منذ كذا وكذا، ولا تعلن أنها استمرارية لمنهج الصحابة في فهم الإسلام وأن ولاءها التام للجماعة الأولى، فقد حكمت على نفسها بعدم اتصافها بصفة الطائفة المنصورة .

نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ لَا نُحِيدُ عَنْ طَرِيقِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

الجيل الذي نريد

أم زيد المالكي - المدينة

لا يخفى على أحد من الناس الحال السيئة التي وصل إليها المسلمون بسبب التبعية للغرب ، وإنني بحكم دراستي الجامعية التي أرى فيها كثيراً من مظاهر هذه التبعية أحببت أن أتبه إلى هذا الجانب الهام وهم (الولاء والبراء في الإسلام). قال الله تعالى : ((لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادِعُونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءُهُمْ أَوْ أَبْنَاءُهُمْ أَوْ إِخْرَانُهُمْ أَوْ عَشِيرَانُهُمْ ..)) [المجادلة: ٢٢] ، ومصداق ذلك ما روتة كتب السيرة عن حب أصحاب محمد محدداً ، وأنهم تفانوا في ذلك ، بينما نرى اليوم أن مفهوم العبادة انحصر في شعائر التعبد دون معناه الشامل ، وانقطع تأثيره في الحياة وأصبحت الشعائر تقاليد موروثة يحافظ عليها الصغير والكبير من أجل أنها تقاليد .

فالأخلاق وحجاب المرأة وقضية العرض كلها تقاليد أكثر مما هي عبادة .
نحن اليوم بحاجة إلى جيل تربى على طلب العلم والعمل يؤمن بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بدلاً من جيل يخاف من السيف وهو في غمده ، قد أعلن ولاعه للغرب في تصرفاته وأخلاقه ، فلا دين له ولا أخلاق ، يصبح ويمسي وهو يفكر في قضاء وقته باللهو .
أيها الآباء شمروا عن ساعد الجد وربوا جيلاً يصمد أمام الأعداء لا يخاف إلا الله وحده.

* الأخ مهند السالمي من جده بعث بهذه الأبيات :

يُغَرِّد السعد في أطياف أحلامي ويزهر الفخر مزهواً بالآلامي
وَتَسْكِين حروف طالما جمحت واشعل الشوق في أجراس أنغامي
هل أنثر الشعر ورداً فوق غانية؟! أم أسكب الشدو تعطيراً بأفلامي؟!
أم انتشي لثثني كل فاتنة؟! وأمدح الورد مزدانأً بأحلامي؟!
أم أرسم الدرب مفروشاً أزاهره؟! مخادعاً مادحاً بالزور أقوامي
وأدعى أنهم خير الورى خلقاً يجلجلون بخييل الحق ظلامي
كلا... أبيت نفاقاً أو مداهنة كفى هياماً وعشقاً بين أقزام
вшعلة النور ترجو من يؤججها بين النفوس وتمحو كل إجرام
شرق إلى الهند إن الخطب آلمهم قد راع إخوتنا عباد أصنام
فكيف أرخي عنان الجفن منهزمأً وأرتضي العيش في أكتاف نوام؟!
وذكر أندلس في الليل أرقني ما عاد زينتها خضراء أعلامي
والسم يسري كليل غاب أوله يخدر السم فينا كل ضر غام

الصفحة الاخيرة من أسباب النجاح

عبد القادر حامد

كل الناس تطمح إلى النجاح في خططها وأهدافها ، وال المسلمين كذلك يتمنون النجاح ويطمحون إليه ، ويبذلون جهوداً ليست أقل من جهود غيرهم الذين وصلوا ؛ بينما بقي المسلمين يلهثون ويعانون . أسباب ذلك كثيرة ومعقدة والتعرض لها في صفحة واحدة ظلم للحقيقة .

ولكن هناك من الأسباب سبب مهم ، وهو كامن في الأسلوب . ففي المناطق التي ساد فيها الإسلام؛ تعلمت فرق وشراذم كيف تخفي حقيقتها أمام وضوح الإسلام وصراحته، واستعانت بالكتمان لتضييف إلى إنجازاتها شيئاً جديداً كل يوم بل كل ساعة . ولأن بينها وبين الشيطان نسباً وصهراً فإنها تستخدم الأساليب الشيطانية بمهارة فطرية ، وعندها قدرة على التكيف والثنون ، فتلبس لكل حالة لبوسها .

بينما يغلب على المسلمين الوضوح في كل شيء ؛ فيصرحون بالخطط والأهداف من أول يوم . ولأن الوضوح والصراحة وكراهة النفاق والتملق من المفاهيم الأساسية في الإسلام ؛ فقد انسحب تأثير ذلك حتى على أسلوب العمل الإسلامي بكامله ، وفي مثل هذه الأحوال تكون الغلبة لمن يحسن التكتم ورصف الصحف والبعد عن الصراخ والهذر ، ويفهم الظروف والقوى المتصارعة وعناصر القوة والضعف فيها فهماً عميقاً . أما الاغترار بالجماهير والجماع ؛ دون الالتفات إلى الأمور العملية والجوهرية ؛ فلا يؤدي إلا إلى استنفار غرائز الذين يشعرون بتهديد الإسلام لهم ؛ فيتناسون خلافاتهم الراهنة ، وتجمعهم تلك الغرائز على الكيد للمسلمين ، والتخطيط لتفريق صفوفهم ، والإحاطة بهم . والله أعلم .

تمت بحمد الله